
أجاثا كريستي
ة الثقافية - بيروت - لبنان

الغيبة الكبرى

أجاثا كريستي

القضية الكبرى

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص.ب: ٨٧٣٢

الفصل الاول

قضية ستايلز

انحسر الآن الاهتمام الضخم الذي أثارته في الرأي العام القضية التي عرفت في حينها باسم (قضية ستايلز) . ولكن نظراً للشهرة الكبيرة التي أصابتها هذه القضية ، فقد طلب إلي صديقي بوارو وأبطال القضية أنفسهم أن أكتب القصة كاملة . . وأني لأرجو أن يؤدي ذلك الى القضاء نهائياً على الشائعات التي لا تزال تتردد بشأنها

وسأبدأ الآن بأن أذكر في ايجاز الظروف التي أدت الى اشتراكي في القضية ، فأقول انني أصبت بجرح في جبهة القتال في فرنسا ، وبعد ان قضيت بضعة شهور بملة في أحد بيوت النقاهة . منحت اجازة مرضية لمدة شهر .

وانني افكر كيف وأين أقضي هذه الاجازة، اذا بي التقي مصادفة بصديقي جون كافنديش

لم أكن قد قابلته منذ بضع سنوات.. والواقع ان صلتي به لم تكن وثيقة ، رغم أنني كثيراً ما قضيت الاجازة في قصر أمه في ستايلز وأنا صبي ، ذلك لانه كان اكبر مني بنحو خمسة عشر عاماً وان يكن مظهره لا يدل اطلاقاً على انه في الخامسة والاربعين من عمره

وأعاد اللقاء الى اذهاننا ذكريات الماضي السعيد .. وانتهى الحديث بيننا

بأن دعاني الى قضاء اجازتي في ستايلز وقال :

– سوف يسر أمي ان تراك بعد كل هذه السنين .

فسألته :

– هل هي في صحة جيدة ؟.

– نعم .. ألا تعلم أنها تزوجت مرة أخرى ؟.

ولم أستطع اخفاء دهشتي ، فقد كانت مسز كافنديش امرأة فاتنة في الحلقة الرابعة من عمرها حين تزوجت والد جون وكان وقتئذ أرملاً وله ولدان .

ولكن لا بد أنها الآن في السبعين أو تجاوزتها ..

وكنت أعرف عنها انها امرأة نشيطة قوية الارادة مستبدة برأيها تميل إلى الأعمال الخيرية والانشطة الاجتماعية . كما أنها كريمة الى أقصى حد ، وتملك ثروة طائلة .

وكان مستر كافنديش قد ابتـــاع قصر ستايلز عقب زواجهما .. ولكن خضوعه لزوجته كان عظيماً الى حد انه اوصى لها بالقصر ، وبالجانب الاكبر من ثروته ، وظلم بذلك ولديه ظلماً فادحاً .

ولكن زوجة الأب كانت سخية جداً مع الولدين .. وكان الولدان يحبانها كأمها .

وكان لورنس ، أصغر الولدين ، شاباً رقيقاً ، وقد تخرج في كليـــة الطب ولكنه تخلى عن مهنته وأقام في القصر وانصرف الى الأدب والشعر .

أما جون ، الابن الأكبر، فقد مارس المحاماة بعض الوقت ثم اعتزلها وعاش في (ستايلز) كسيد من سادة الريف ، وتزوج منذ عامين ، وجاء بزوجته الى القصر ، وخيل إلي من حديثه انه يفضل أن تمنحه زوجة أبيه مبلغاً اضافياً كل شهر لكي يعيش مع زوجته في بيت خاص بهما . ولكن مسز كافنديش لم تكن المرأة التي تخضع لرغبات الآخرين . كانت تصرف الأمور على هواها وتتوقع من الآخرين الرضوخ لارادتها .. وكانوا يرضخون . لأن المال في يدها .

وقد لاحظ جون دهشتي حين سمعت نبأ زواج المرأة التي يدعوها امه ، فابتسم وقال بجدة :

وأي زوج ذلك الذي جاءت به !.. الواقع يا هاستنجز أن هذا الزواج جعل الحياة لا تطاق بالنسبة لنا .. وبالنسبة لايفيلين كذلك .. هل تذكر ايفيلين ؟..

— كلا .

— آه .. أظن انك لم ترهـا .. انها مرافقة أمي .. وهي ليست شابة ، وليست جميلة . ولكنها امرأة صريحة ومخلصة .

— كنت تريد أن تقول شيئاً عن .

- آه . عن ذلك الرجل الذي تزوجته أمي .. انه هبط علينا من حيث لا ندري .. جاء بصفته ابن عم ايفيلين . او قريبها .. ولم يبد على ايفيلين نفسها انها فخورة بهذه القرابة ..

انه لا ينتمي الى بيئتنا او مجتمعنا .. له لحيـة ضخمة سوداء .. ويرتدي نفس الثياب الجاهزة في جميع الاجواء ، ولكن يبدو انه راق في نظر امي ، فاتخذته سكرتيراً لها . انها شغوفة بادارة المئـــات من الجمعيات والمؤسسات الخيرية .. هل تعلم ذلك ؟.

فأومأت برأسي علامة الايجاب .

قال :

وبسبب الحرب ، أصبحت المئات آلافاً ، ولا شك أن الرجل كان خير عون لها ، ولكنك تستطيع ان تتصور مدى دهشتنا وذهولنا حين أعلنت منذ ثلاث شهور انها ستقترن به

انه أصغر منها بعشرين عاماً على الأقل ، وواضح انه اقترن بها طمعاً في ثروتها ، ولكن ماذا كان في استطاعتنا أن نفعل ؟.. انها سيـدة نفسها ولا سلطان لنا عليها . وهكذا كان لها ما ارادت .

- لا بد أن ذلك كان صدمة لكم جميعاً ؟.
- بل كان صدمة مزعجة إلى أقصى حد .

وبعد ثلاثة أيام من هذا الحديث ، سافرت بالقطار إلى ستايلز ووجدت جون بانتظاري في المحطة الصغيرة القائمة وسط الحقول الخضراء فرافقني في سيارته إلى قرية ستايلز التي تبعد عن المحطة نحو ثلاثة كيلومترات ، أما قصر ستايلز فكان يقع على مسافة كيلومتر من الجانب الآخر للقرية .

وكان من المستحيل على من ينظر إلى الوديان الخضراء الهادئة المترامية في تلك المنطقة المسطحة في ذلك اليوم الحار من شهر يوليو أن يتصور أن هناك حرباً ضروساً تضطرم في الجانب الاخر من بحر المانش ، حتى لقد شعرت فجأة كأنني أهيم في عالم آخر .

قال جون حين اقتربنا من القصر :
- أخشى أن تجد الحياة هنا أهدأ مما توقعت يا هاستنجز .
- ذلك ما أرجوه يا صديقي العزيز .
- إن الاقامة هنا ممتعة لمن ينشد حياة الخمول .. أنا شخصياً أتدرب مع الجنود المتطوعين مرتين في الأسبوع ، كما انني أعاون في أعمال المزرعة .. أما زوجتي فانها تشرع في حلب الأبقار في الخامسة من صباح كل يوم ، وتستمر في ذلك حتى موعد تناول الغذاء .

إن الحياة رائعة في مجموعها ، لولا ذلك المدعو الفريد انجلثروب .
ثم أوقف السيارة فجأة ونظر في ساعته وهو يقول :

- لا أدري إذا كنا نستطيع اصطحاب سنثيا معنا .. ولكن لا .. لقد فات الآن موعد انصرافها من المستشفى .

- سنثيا ؟. هل هي زوجتك ؟.
- كلا .. إنها ربيبة أمي .. كانت أمها صديقة لأمي ثم تزوجت محامياً سافلا بدد كل ثروتها ، وبقيت بعد موت أمها يتيمة بغير مال أو عائل فكفلتها

أمي وجاءت بها للاقامة معنا منذ عامين . وهي تعمـــل الآن في مستشفى الصليب الأحمر في (قادملستر) على بعد سبعة أميال من هنا .

ووقفت بنا السيارة أخيراً أمام القصر، فاعتدلت سيدة بدينة كانت منحنية في حقل الزهور ونظرت نحونا فهتف جون قائلاً :

— هالو .. ايفلين .. هو ذا بطلنا الجريح .

ثم التفت إلي وقال :

— هذه مس ايفلين هوارد يا هاستنجز .

وشدت ايفلين على يدي بحرارة وقوة ..

كانت في نحو الأربعين من عمرها، ولها وجه لوحته الشمس وعينان زرقاوان وصوت خشن كأصوات الرجال .. وقد لاحظت انها تتكلم بايجـــاز بأسلوب البرقيات .

قالت .

— الأعشاب هنا تنمو بسرعة مذهلة .. إذا قطعت عوداً نبت عودان .

فسألها جون :

— أين سنتناول الشاي اليوم يا إيفلين . ؟ في البيت أم في الحديقة . ؟

— في الحديقة . الجو صحو وحرام قضاء الوقت بين الجدران .

— إذن هلمي معنا .. انك عملت اليوم في الحديقة بما فيه الكفاية .

فأجابت وهي تخلع قفازها :

- أعتقد ذلك .

وتقدمتنا ، ودارت بنا حول البيت الى حيث كانت مائدة الشاي في ظـل شجرة جميز ضخمة .

ونهضت سيدة شابة كانت تجلس أمام المائدة وتقدمت بضـــع خطوات لاستقبالنا فقال جون :

— هذه ماري . زوجتي ..

ولن انسى ما حييت هذا اللقاء الأول مع ماري كافنديش .. فلقد رأيت أمامي شابة طويلة القامة نحيلة الجسم لها عينان رائعتان تختلفان عن عيني أية امرأة وقع عليها بصري ، عينان تنمان عن روح جامحة وحيوية دافقة حبيسين في جسد أليف .

حيتني بكلمات قليلة لطيفة ، وبصوت خافت واضح النبرات ، فجلست على أحد المقاعد وأنا أشعر بسعادة حقيقية لأنني لبيت دعوت جون .

فقدمت لي ماري كافنديش قدحاً من الشاي ، ودعمت ملاحظاتها القليلة الهادئة انطباعاتي عنها .. من انها امرأة فاتنة حقاً

ولم يكن جون محدثاً لبقاً .. فانطلقت اروي بعض الأحداث المضحكة التي عشتها في بيت النقاهة ... وراحت ماري كافنديش تصغي الي بانتباه واهتمام أطلقا لساني من عقاله .

بعد قليل سمعت صوتاً مألوفاً صادراً من شرفة قريبة يقول :

– عليك إذن ان تكتب الى الأميرة يا الفريد،أما أنا فسأكتب الى الليدي تادمنستر . أو لعلك ترى من الأفضل أن ننتظر رد الأميرة أولاً .. فاذا رفضت كتبنا الى الليدي لكي تفتتح السوق الخيرية في اليوم الأول ، على أن تفتتحها مسز كروسبي في اليوم الثاني .. ثم هناك الحفلة المدرسية التي ستقام تحت رعاية الدوقة :

وهنا سمعت صوت رجل يتمتم بكلام لم اتبينه ، وأجابت مسز انجلثورب .

– حسناً .. ليكن ذلك بعد تناول الشاي يا عزيزي الفريد .

وفتح باب الشرفة على مصراعيه ، وخرجت منه سيدة عجوز ذات شعر أبيض.. ووجه تنم قسماته عن قوة الارادة ومضاء العزيمة.. فسارت على المشب وتبعها رجل راح يمشي وراءها باحترام .

ووقع بصرها عليّ فهتفت قائلة :

– ما أسعدني برؤيتك بعد كل هذه السنين يا مستر هاستنجز ..

ثم قدمتني الى الرجل الذي يسير خلفها بقولها :

— هذا هو مستر هاستنجز يا عزيزي الفريد .

قدمته اليّ قائلة :

— وهذا زوجي .

فنظرت بشيء من الفضول الى عزيزها الفريد .. ولم أدهش لنفور جون من لحيته ، فقد كانت أطول وأحلك سواداً من أية لحية رأيتها قبلاً ..

كان يضع على عينيه نظارة ذات اطار ذهبي . . وخيل إليّ حين رأيته انه إنسان منقطع الصلة بواقع الحياة ، وان مكانه الطبيعي هو خشبة المسرح .

شد على يدي كأنها قطعة من خشب وقال بصوت عميق .

— يسعدني لقاؤك يا مستر هاستنجز .

ثم تحول إلى زوجته وقال

— أظن ان هذه الوسادة قد ادركتها الرطوبة يا عزيزتي اميلي .

فنظرت اليه بوله بينا راح هو يستبدل الوسادة بأخرى بعناية شديدة .

وخيم على الجميع وجوم مشوب بالكراهية . ولم تحاول إيفلين اخفاء مشاعرها .. ولم تلاحظ مسز انجلثروب شيئاً .. وراحت تتكلم بطلاقتها المعهودة . وتركز حديثها حول السوق الخيرية والاجتماعات التي تنظمها ، بينا أخذ زوجها يتتبع حديثها باهتمام ويعاونها في تذكر الأيام والتواريخ .

وقد شعرت منذ اللحظة الأولى ببغض شديد لهذا الرجل ، وأنا اعلم ان انطباعي الأول قلما يخطىء .

وتحولت مسز انجلثروب أخيراً الى إيفلين هوارد وراحت تصدر اليها بعض التعليمات بشأن الرسائل . والتفت الفريد انجلثروب اليّ وقال :

. هل الجندية مهنتك يا مستر هاستنجز ..؟

— كلا .. فقد كنت قبل الحرب أعمل في شركة اللويد للتأمينات البحرية .

— وهل ستعود الى وظيفتك بعد انتهاء الحرب . ؟

ـ قد أعود اليها .. وقد ابدأ عملاً جديداً ..

وهنا انحنت ماري كافنديش الى الأمام وسألت :

ـ ما هي المهنة التي تتفق مع ميولك يا مستر هاستنجز .. ؟ هل لك هواية خاصة .. ؟

ـ ستضحكين إذا عرفت هوايتي .

فابتسمت وقالت :

ـ أحقاً .. ؟

ـ الواقع انني أشعرر في قرارة نفسي برغبة في أن أعمل بوليساً سرياً .

ـ مع سكتلند يارد بصفة خاصة كشرلوك هولمز .؟

ـ كشرلوك هولمز . ان هذه المهنة تستهويني .. ولقد قابلت في بلجيكا ذات مرة بوليساً سرياً مشهوراً ألهب حماسي لهذه المهنة كان يقول دائماً أن براعة البوليس السري الناجح تتجلى في أسلوبه في العمل.. وقد اقتنعت بأسلوبه

فقالت إيفلين :

ـ أنا شخصيا أحب القصص البوليسي الجيد ، فهناك روايات بوليسية سخيفة ، تكشف عن المجرم في الفصل الأخير .. وهو مالا يحدث في الجرائم الواقعية حيث يمكنك معرفة القاتل من أول وهلة .

فقلت :

ـ ولكن توجد جرائم واقعية كثيرة لم يكتشف مرتكبوها .

ـ قد لا يكتشفها رجال الشرطة . ولكن أفراد الأسرة التي وقعت فيها الجريمة . غالباً ما يعرفون المجرم الحقيقي .. وان كانوا لا يملكون الأدلة .

ـ هل معنى ذلك انه إذا وقعت جريمة قتل في بيتك أمكنك معرفة الفاعل على الفور ..؟

ـ طبعاً .. ربما أعجز عن تقديم الأدلة . ولكني أشعر به وأعرفه بأحساسي .

ـ وإذا كان القاتل امرأة ..

فقالت ماري كافنديش بصوت واضح النبرات :

ـ ان القتل من جرائم العنف التي لا يرتكبها إلا الرجال .

ـ لا أظن انك ستعرفين القاتل بأحساسك.. إذا كانت الجريمة قد ارتكبت بالسم. لقد قال الدكتور باورشتاين أمس أن غالبية الأطباء لا يعرفون السموم غير المألوفة . وانه لذلك يعتقد ان كثيراً من جرائم السم قد مرت دون أن يفطن اليها أحد .

فصاحت مسز انجلثروب :

ـ ما هذا الحديث المزعج يا ماري .. ان جسدي يقشعر لسماعه .. آه .. ها هي سنثيا .. !

ورأيت فتاة في مقتبل العمر ترتدي معطفاً أبيض . تقبل نحونا مسرعة ، فاستطردت مسز انجلثروب قائلة :

ـ لماذا تأخرت اليوم ياسنثيا .. ؟دعيني أقدم اليك مستر هاستنجز ...

كانت سنثيا في عنفوان شبابها ، ممتلئة نشاطاً وحيوية ، فخلعت قبعتها ، وأعجبني شعرها الأحمر الطويل ، كما أعجبتني يدها الصغيرة البيضاء حين مدتها لتتناول قدح الشاي .

وجلست سنثيا على المعشب بجوار جون ، فقدمت اليها صفحة الشطائر . فابتسمت لي وقالت :

ـ لماذا لا تجلس على المعشب . انها جلسة مريحة .

فأطعتها على الفور وسألتها :

ـ هل تعملين في مستشفى تادمنستر يا آنسة سنثيا ؟..

ـ نعم .. لسوء الحظ .

ـ لماذا ..؟ هل يضايقونك كثيراً هناك ؟..

فصاحت في كبرياء :

— من ذا الذي يجرؤ على مضايقتي ..؟

— لي ابنة عم تعمل ممرضة .. وهي ترتجف رعباً من كبيرة الممرضات.

— ولكني لست ممرضة ولله الحمد .. انني أعمل في الصيدلية .

فقلت لها وأنا ابتسم .

— وكم شخصاً قتلت بالسم ..؟

فابتسمت بدورها وأجابت :

— مائة .

وهنا قالت مسز انجلثروب :

— هل تستطيعين أن تكتبي لي بضع رسائل بعد تناول الشاي يا سلثيا .؟

— طبعاً يا عمتاه .

وانبعثت واقفة على الفور .. ونبهتني طاعتها الى مركزها في البيت كفتاة يتيمة تعيش من كرم أصحابه .. والى أن مسز انجلثروب رغم لطفها وعطفها لا تسمح للفتاة بأن تنسى ذلك .

وتحولت مسز انجلثروب إليّ وقالت :

— سيرشدك جون الى غرفتك ، ونحن نتناول العشاء عادة في السابعة والنصف .. لقد كففنا عن تناول العشاء في وقت متأخر اقتصاداً للطاقة .. والليدي تادمنستر تفعل مثل ذلك.. وهي تقرني على اننا يجب أن نضرب المثل في الاقتصاد .. فنحن في وقت حرب ويجب أن نقتصد في كل شيء .. حتى الأوراق المهملة أصبحنا نحرص عليها ونضمها في زكائب ونبعث بها الى الجهات التي يمكنها الافادة منها .

فعبرت لها عن تقديري ، ورافقني جون الى داخل البيت وارتقى بي سلماً ينتهي بشعبتين ، تؤدي أحداها الى الجناح الأيمن وتؤدي الأخرى الى الجناح الايسر .. وكانت غرفتي تقع في الجناح الايسر وتطل على

حديقة القصر .

وتركني جون وبعد بضع دقائق رأيته من نافذتي وهو يسير في الحديقة متأبطاً ساعد سنثيا ، ثم سمعت مسز انجلثورب وهي تدعو سنثيا بصوت ينم عن الضيق وفروغ الصبر ، فأسرعت الفتاة تعدو نحو المنزل . وفي نفس اللحظة خرج رجل من خلف إحدى الاشجار وسار في نفس الاتجاه .

كان الرجل في نحو الاربعين أسمر البشرة حليق الوجه . تبدو عليه دلائل الانفعال ، وعندما مر امامي ونظر إلى نافذتي عرفته على الفور .. رغم ما طرأ عليه من تغيير خلال الأعوام الخمسة عشر التي لم أره فيها .

كان هذا الرجل هو لورنس كافنديش ، الأخ الأصغر لجون ، وقد عجبت لدلائل الانفعال التي كانت تبدو على وجهه وتساءلت ترى ما سببها .

ولكني لم أفكر في الأمر طويلاً .. وعدت الى حوائجي أرتبها .

وكان اليوم التالي مشرقاً جميلاً .. ولم أر ماري كافنديش إلا وقت الغداء ، ولكنها تطوعت بعد ذلك لمرافقتي في جولة في الحقول والغابات ، وكانت جولة ممتعة عدنا منها حوالي الساعة الخامسة .

وبينما كنا نجتـاز البهو .. أومأ جون الى قاعة الاستقبال فتبعناه اليها .. وكان تجهم وجهه يدل على أن شيئاً مزعجاً قد حدث .

وما أن دخلنا القاعة حتى أغلق بابها وقال يحدث زوجته :

- أصغي إلي يا ماري .. اننا في مأزق ، فقد تشاجرت ايفيلين مع الفريد انجلثورب وقررت الرحيل .

- ايفيلين !..

- نعم .. وقد ذهبت لمقابلة أمي ..

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت ايفيلين هوارد .

كانت مطبقة الشفتين ، بادية الانفعال ، وبيدها حقيبة صغيرة .

قالت في غيظ

مهما يكن من أمر فقد قلت له رأيي فيه ، كذلك قلت لأميلي كلاماً لا أعتقد أنها ستنساه ، أو ستغفره بسهولة . قلت لها : انك امرأة عجوز يا اميلي . وليس هناك من هو أشد غفلة من مغفل عجوز .. أن هذا الرجل أصغر منك بعشرين سنة على الأقل . فلا يجب أن تتغافلي عن الأسباب التي دعته الى الاقتران بك .. انه اقترن بك طمعاً في ثروتك .. فلا تدعيه يغترف من مالك أكثر مما ينبغي . ان لذلك المزارع المدعو ريكس زوجة شابة جميلة .. فاسألي زوجك كم من الوقت يقضي عند ريكس .

وقد غضبت اميلي غضباً شديداً .. وهذا أمر طبيعي ، ولكني قلت لها: انني أحذرك سواء أردت أو لم تريدي فهذا الرجل يفضل أن يقتلك في فراشك على أن ينظر اليك .. انه رجل سوء . قولي عني ما شئت .. ولكن تذكري انني حذرتك ..

- وماذا قالت ؟

فراحت ايفيلين تقلد مسز انجلثورب وتقول :

الفريد العزيز .. الفريد الحبيب، هذه وشايات وأكاذيب .. كيف تجرؤ أيتها المرأة الشريرة على اتهام زوجي العزيز ؟ .

ولذلك رأيت من الأفضل أن أرحل .. وهاأنذا راحلة .

– الآن ؟.

– الآن ..

فران علينا صمت عميق ، وجعلنا ننظر اليها في حيرة ودهشة .. ثم حاول جون كافنديش أن يثنيها عن عزمها ، ولما فشل . غادر الغرفة ليستفسر عن مواعيد القطار ، وتبعته زوجته .

وما أن أغلقا الباب خلفهما حتى تغيرت ملامح ايفيلين هوارد ، وانحنت إلى الأمام وقالت :

– مستر هاستنجز .. هل أستطيع الوثوق بك ؟

ووضعت يدها على ذراعي واستطردت قائلة في همس ؟.

- ان اميلي امرأة مسكينة . فحاول حمايتها يا مستر هاستنجز .. انها هنا وسط مجموعة من الحيتان .. ليس بينهم واحد لا يعاني من ضائقة مالية .. وجميعهم يسعون وراء ثروتها .. لقد كنت أقوم بحمايتها .. ولكني سأذهب وأخلي لهم الجو .. وسوف يفرضون أنفسهم عليها .

- اطمئني يا مس هوارد .. سأبذل قصارى جهدي ، ولكني واثق من انك لم تصدري فيما قلت إلا عن إحساس بالضيق والانفعال .

- انني اكبر منك سناً أيها الشاب وأعرف عن النـاس والحياة اكثر مما تعرف . وكل ما أطلبه منك هو أن تفتح عينيك وسوف ترى انني كنت على حق .

وفي هذه اللحظة ، سمعت صوت محرك السيـــارة . فنهضت مس هوارد واقفة وحملت حقيبتها وسارت الى الباب .

وهناك تحولت إلي وقالت :

- عليك بصفة خاصة ان تراقب ذلك الشيطان .. زوجها .

وتحركت بها السيارة وسط عاصفة من عبارات الأسف والوداع، ولم تشترك مسز انجلثورب وزوجها في هذا المشهد ..

وما أن ابتعدت السيارة حتى انفتلت ماري كافنديش من بين المودعين وهرولت لاستقبال رجل طويل القـامة ذي لحية قصيرة كان في طريقه الى البيت .. وقد لاحظت ان وجهها تضرج احراراً وهي تبسط يدها اليه .

وشعرت بكراهية غريزية للرجل وسألت :

- من هذا ؟.

فأجاب جون في ايجاز :

- انه الدكتور باورشتاين ؟.

- ومن هو الدكتور باورشتاين ؟.

ـ اخصائي من لندن ، يقال انه من اعظم الخبراء في السموم . وهو يقيم في القرية للنقاهة من انهيار عصبي .

فقالت سنثيا :

ـ انه من اعز اصدقاء ماري .

فقطب جون حاجبيه وقال ليغير موضوع الحديث :

ـ دعنا نتريض قليلاً يا هاستنجز .. لشد ما أسف لما حدث .. لقد كانت ايفيلين صديقة مخلصة رغم خشونتها والفاظها الجارحة .

وسرنا في الطريق الى القرية وسط الغابة التي تقع على حدود ممتلكات اميلي انجلثورب . ثم عدنا ادراجنا .. وما ان اقتربنا من باب القصر حتى مرت بنا امرأة شابة على جانب كبير من الجمال فاومأت لنا وابتسمت .

قلت احدث جون :

ـ ما اجملها .. !!!

ـ انها مسز ريكس .

ـ المرأة التي قالت ايفلين هوارد انها ..

فقاطعني جون قائلاً بحدة لا مبرر لها :

ـ نعم ..

وقارنت في ذهني بين السيدة العجوز ذات الشعر الأبيض التي تقيم في القصر وهذه الفاتنة اللعوب التي ابتسمت لنا في التو واللحظة ، وغمرتني موجة من الحزن والتشاؤم .

ولكني سرعان ما تناسيت الموضوع وقلت احدث جون :

ـ حقاً ان (ستايلز) مزرعة رائعة !

ـ نعم .. وسوف تكون لي يوم ما .. بل انها كان يجب ان تكون لي الان لو ان ابي ترك وصية معقولة ..

ثم اردف بعد قليل :

لو انه فعل لما وجدت نفسي في الضائقة التي اعانيها الآن ..

.. هل انت في ضائقة مالية . ؟

ـ لا اكتمك ان هذه هي الحقيقة يا هاستنجر .

الا يستطيع أخوك ان يساعدك .. ؟

ـ لورنس .. ؟ انه أضاع كل ما ورثه عن ابيه في طبع اشعاره التي لا يقرأها أحد .. ولكنني لا انكر ان امي تعاملنا بسخاء إلى ان تزوجت .

وفي هذه اللحظة، احسست للمرة الأولى بأن رحيل ايفلين هوارد قد افرغ الجو من شيء لا استطيع وصفه او تحديده ..

كان وجودها يشيع نوعاً من الاستقرار والأمان . اما الآن فأن الجو يبدو مشحوناً بالريب والشكوك . مما جعلني اتوقع شراً مستطيراً.

الفصل الثاني

١٦ و ١٧ يوليو

كنت قد وصلت الى ستايلز في اليوم الخامس من شهر يوليو ، وسأروي الآن احداث يومي ١٦ و ١٧ من ذلك الشهر تماماً كما اثبتتها التحقيقات الطويلة والاستجوابات المضنية اثناء نظر القضية .

وكنت قد تسلمت رسالة من ايفلين هوارد بعد رحيلها بيومين ، قالت فيها انها تعمل ممرضة في مستشفى بمدينة ميدلنجهام ، التي تبعد ١٥ ميلاً عن ستايلز وانها ترجوني ان اخبرها عما اذا كانت مسز انجلثورب قد ابدت أية رغبة في مصالحتها .

ولم يكن هناك ما يعكر صفو حياتي في تلك الأيام سوى سلوك ماري كافنديش العجيب ، وايثارها غير المفهوم لصحبة الدكتور باورشتاين .. ولست اعرف ماذا كان يعجبها في هذا الرجل ، ولكنها كانت تدعوه الى البيت باستمرار وتخرج معه للنزهة في الغابة أو في الحقول ..

وكان يوم ١٦ يوليو يوم اثنين . وكانت السوق الخيرية قد افتتحت يوم السبت ، وتقرر إقامة حفل في مساء الاثنين .. يكون امتداداً للسوق وتلقي فيه مسز أنجلثورب شعراً عن الحرب .. فقضينا ساعات الصباح في إعداد قاعة البلدية حيث سيقام الحفل وتناولنا الغذاء في وقت متأخر والتمسنا بعض

الراحة في الحديقة ، ولاحظت أن جون ليس في حالته العادية .. فقد كان يبدو قلقاً مضطرباً .

وبعد الشاي ، قصدت مسز انجلثورب إلى مخدعها لتستريح وتستجمع قواها للسهرة . أما أنا فقد دعوت ماري كافنديش لمباراة في التنس ..

وفي الساعة السابعة إلا الربع ، طلبت الينا مسز انجلثورب الاستعداد لتناول العشاء .. وما أن فرغنا من الطعام حتى وجدنا السيارة في انتظارنا .

وقد حقق الحفل نجاحاً عظيماً .. وقوبلت أشعار مسز انجلثورب بعاصفة من التصفيق ، واشتركت سنثيا في بعض التابلوهات الحية .. ولم تعد معنا إلى البيت لأن إحدى صديقاتها دعتها للمبيت عندها .

وفي الصباح ، كانت مسز انجلثورب لا تزال تشعر ببعض التعب ، فتناولت طعام الإفطار في فراشها ، ولكنها نشطت عند الظهر ، ودعتني مع لورنس إلى مأدبة غذاء في بيت مسز رواستون ، شقيقة الليدي تادمنستر .. وكانت ماري قد اعتذرت بأنها على موعد مع الدكتور باورشتاين .

وبعد المأدبة ، اقترح لورنس أن نعود عن طريق (تادمنستر) لكي نزور سنثيا في صيدليتها ، وقالت مسز انجلثورب انها فكرة طيبة ولكنها لا تستطيع مرافقتنا لأن لديها رسائل يجب أن تكتبها .. واقترحت أن تتركنا في تادمنستر وتمضي في طريقها إلى ستايلز على أن نعود نحن بسنثيا في إحدى المركبات .

وقد رحبت بنا سنثيا وقدمتنا إلى زميلتها التي تدعوها باسم نيبز . فقلت لها وأنا أجيل البصر بين صفوف القناني والزجاجات في الغرفة الصغيرة .

هل تعرفين حقاً ما في كل زجاجة هنا ؟

فأجابت متذمرة :

ـ قل شيئاً جديداً .. إن كل زائر يلقي نفس السؤال ، حتى لقد فكرنا في منح جائزة لأول شخص لا يسألنا : هل تعرفون حقاً ما في كل

زجاجة هنا ؟

أما السؤال الثاني المألوف فهو : كم عدد الأشخاص الذين سممتموهم ؟

فضحكت .. وقالت سنثيا :

- لو علم الناس كم من الأشخاص يمكن أن يتسمموا نتيجة خطأ في مزج العقاقير لما ضحكوا .. ولكن دعونا نتناول الشاي لدينا هنا خزائن سرية حافلة بالشاي والحلوى .. كلا يا لورنس هذه خزانة السموم أما الشاي والحلوى ففي الكبيرة .

وتناولنا الشاي في جو مرح ، وساعدنا سنثيا في غسل الملاعق والأقداح .. وما كدنا نفرغ من ذلك حتى طرق الباب فقطبت سنثيا وزميلتها حواجبهما وهتفت الأولى وهي تصطنع الجد :

- أدخل ..

فقتح الباب ودخلت ممرضة شابة وبيدها زجاجة قدمتها إلى نيبز فأحالتها هذه إلى سنثيا ، التي تناولت الزجاجة وقرأت بطاقتها وقالت :

- هذه الزجاجة كان يجب إرسالها الينا صباح اليوم ..

- إن كبيرة الممرضات تعبر لك عن أسفها لأنها غفلت عن إرسالها .

- يجب على كبيرة الممرضات أن تقرأ التعليمات المعلقة على باب الصيدلية !

فنظرت إلى الفتاة وأدركت من ملامحها أنها لن تجرؤ على نقل هذا الكلام إلى كبيرة الممرضات ..

قالت سنثيا :

- وعلى ذلك فإن هذا الدواء لن يتم إعداده قبل صباح الغد ..

- ألا يمكن إعداده الليلة ؟

- إننا مثقلون بالعمل ولكننا سنحاول إذا وجدنا متسعاً من الوقت ..

وانصرفت الممرضة الشابة ، ومدت سنثيا يدها إلى وعاء زجاجي فوق أحد الرفوف ، وسكبت بعض محتوياته في الزجاجة ثم وضعت الزجاجة على

مائدة خارج الغرفة .

فأدركت غرضها من هذه المناوره وقلت ضاحكاً :

النظام أولاً .. أليس كذلك ؟

طبعاً .. والآن .. تعالوا إلى الشرفة فمنها تستطيعون رؤية عنابر المرضى ..

وخرجت مع زميلتها إلى الشرفة فتبعتهما . وراحت تدلانني على مختلف أجنحة المستشفى ، وكان لورنس قد تخلف في الصيدلية ، فدعته سنثيا للانضمام الينا ، وبعد قليل نظرت إلى ساعتها وسألت زميلتها :

- هل هناك ما يجب عمله يا نيلز ؟.

كلا ..

- إذن يحسن بنا أن نغلق الصيدلية وننصرف ..

***

وقد أتاحت لي تلك الرحلة فرصة لمعرفة لورنس على حقيقته ..

كان على طرفي نقيض مع أخيه جون من جميع الوجوه .. فهو خجول ومنطو على نفسه .. ولكنه ذو شخصية مرحة جذّابة ، ولا يسع من يعرفه جيداً إلا أن يحبه ..

وكنت قد لاحظت أنه يعامل سنثيا بتحفظ ، وان سلوك الفتاة أمامه يتسم بالخجل والحياء .. ولكنهما في ذلك اليوم كانا شديدي البهجة والمرح خلافاً للعادة .. وكانا يتحدثان ويضحكان كالأطفال ..

***

وتذكرت ونحن نخترق القرية أنني بحاجة إلى بعض طوابع البريد ، فأوقفت المركبة أمام مكتب البريد واشتريت حاجتي من الطوابع . وفيما كنت

أغادر المكتب اصطدم بي رجل قصير القامة كان يهم بالدخول فاعتذرت له وأفسحت له الطريق وفجأة، أرسل الرجل صيحة سرور وأمسك بي بساعديه وقبلني بحرارة وهو يهتف :

— صديقي هاستنجز !. من كان يصدق أنني سألقاك هنا ..

— بوارو !.

وتحولت إلى المركبة وقلت أحدث سنثيا :

— كم أنا سعيدة بهذه المفاجأة يا سنثيا .. هذا صديقي العزيز مسيو بوارو الذي لم أره منذ عدة أعوام .

فقالت سنثيا في مرح

— أننا نعرف مسيو بوارو .. ولكن لم يخطر لي ببال أنه صديقك ..

فقال بوارو بلهجة جدية :

— نعم .. إنني أعرف الآنسة سنثيا .. والفضل في إقامتي هنا لمسز انجلثورب وكرمها ..

ورأى في عيني نظرة تساؤل فاستطرد قائلا :

— نعم يا صديقي .. إنها إستضافتني مع سبعة من مواطني المهاجرين من بلجيكا ، وسوف نذكر صنيعها بالشكر والعرفان مدى الحياة ..

كان بوارو رجلا قصير القامة عجيب المنظر .. فطوله لا يتجاوز خمسة أقدام ، ولكنه يسير مشدود القامة مرفوع الرأس بطريقة متميزة تكسبه أهمية وهيبة ..

وكان له رأس في شكل البيضة، وشارب متصلب كشوارب العسكريين، أما عنايته بأناقته ونظافة ثيابه فليس لها حد .. حتى لقد كان يخيل الي أن ذرة من التراب على ثوبه يمكن أن تؤلمه أكثر مما يؤلمه جرح من رصاصة ..

ومع ذلك فإن هذا الرجل القصير الأنيق كان في وقت ما أشهر شخصية في البوليس البلجيكي .

وأشار بوارو الى البيت الصغير الذي يقيم فيه مع زملائه البلجيكيين فوعدت بأن أزوره في اقرب فرصة

وبعد أن رفع قبعته وأحنى قامته باحترام تحية لسنثيا ، انطلقت بنا المركبة في الطريق الى ستايلز ..

وقالت سنثيا :

— انه رجل ظريف .. ولم أتصور قط انك تعرفه .

— انه بوليس سري ذائع الصيت .

وأخذت أروي لها بعض مغامراته وانتصاراته في عالم الجريمة .

وكنا جميعاً في حالة نفسية طيبة عندما وصلنا الى القصر .

وما أن اجتزنا البهو حتى خرجت مسز انجلثروب من مخدعها وهي محتقنة الوجه بادية الانفعال .. فسألتها سنثيا ..

— هل ثمة ما يضايقك أيتها العمة اميلي .. ؟

فأجابتها مسز انجلثروب بحدة :

— كلا طبعاً .. ماذا يمكن أن يضايقني ..؟

ولمحت وصيفتها دوركاس وهي تدخل قاعة الطعام فطلبت اليها أن تأتينا ببعض طوابع البريد ..

فأجابت الوصيفة .

. حسناً يا سيدتي ..

ثم أضافت بعد تردد قصير :

ألا ترين يا سيدتي انه من الأفضل أن تأوي الى فراشك ؟ انك تبدين متعبة جداً ..

— لعلك على حق يا دوركاس .. ولكن ثمة رسائل يجب أن اكتبها قبل موعد تصدير البريد .. هل أشعلت النار في مدفأة غرفتي كما أمرتك ..؟

— نعم يا سيدتي .

— إذن سأذهب الى فراشي بعد العشاء توأ ..

وعادت الى مخدعها ..

وشيعتها سنثيا ببصرها .. ثم قالت تحدث لورنس :

— يا إلهي .. أ ترى ماذا حدث ؟.

ويبدو انه لم يسمعها ، لأنه دار على عقبيه دون ان ينطلق بكلمة ، وغادر البيت ..

واقترحت على سنثيا أن نلعب مباراة تنس سريعة قبل العشاء ، فلما وافقت صعدت السلم مسرعاً لأحضر مضربي .

والتقيت بماري كافنديش وهي تهبط درج السلم .. وخيل إلي أنها هي أيضاً تبدو مضطربة ومنزعجة .

سألتها وأنا أتظاهر بقلة إكتراث :

— هل طابت لك النزهة مع الدكتور باورشتاين ..؟

فقالت بإيجاز :

— أنا لم أخرج ، أين مسز انجلثروب ؟

— في مخدعها ..

فأطبقت بأصابعها على حاجز السلم .. ورفعت رأسها بحركة فجائية كمن يستجمع قوته وعزيمته لمواجهة هامة . ثم هبطت درج السلم بسرعة ، وسارت في البهو ودخلت مخدع مسز انجلثروب وأغلقت بابه وراءها .

وأحضرت مضربي ، ومررت بنافذة المخدع وأنا في طريقي الى حلبة التنس ، وكانت النافذة مفتوحة ، فلم أتمالك من سماع طرف من الحوار الذي دار بين ماري كافنديش ومسز انجلثروب .

كانت ماري تقول بصوت امرأة يائسة تحاول السيطرة على غضبها :

— ألا تدعينني أراه ..

وأجابتها مسز انجلثروب

ـ انه لا علاقة له بالموضوع الذي عنه تتحدثين يا عزيزتي ماري .

فقالت ماري كافنديش ببرارة :

ـ طبعاً .. كان يجب أن أعرف انك تتسترين عليه ..

وفي هذه اللحظة ، رأيت سنثيا وهي في طريقها الى فتقدمت لقائها .
قالت لي بجدة .

ـ لقد حدث شجار عنيف أدلت الى دوركاس بكل تفاصيله .

ـ أي شجار ؟.

ـ شجار بين العمة اميلي وبينه .. أرجو من كل قلبي أن تكون قد عرفته على حقيقته أخيراً

ـ هل شهدت دوركاس الشجار ؟.

ـ كلا طبعاً . ولكن تصادف انها مرت أمام باب المخدع وسمعت بعض ما قيل .. لم أتوق الى معرفة سبب المشاجرة !.

وهنا تذكرت وجه مسز ريكس الفاتن ... وتحذيرات إيفلين هوارد .. ولكني آثرت أن الوذ بالصمت . بينما كانت سنثيا تكدح ذهنها بحثـــاً عن الأسباب المحتملة للشجار وأخيراً قالت .

ـ ليتها تطرده ولا تتصل به بعد ذلك أبداً ..

* * *

وكنت في أشد الشوق الى مقابلة جون ولكني لم أقع له على أثر ..

كان من الواضح ان شيئاً خطيراً حدث بعد ظهر ذلك اليوم، ولقد حاولت أن أتناسى الكلمات القليلة التي سمعتهـــا من حديث ماري كافنديش ومسز انجلثروب ولكنها ظلت تلح علي فلم أستطع تناسيها .

وعندما هبطت من غرفتي لأتناول طعام العشاء ، وجدت مسز انجلثروب في قاعة الاستقبال ، ولكن وجهه لم يكن ينم عن شيء .

وأخيراً جاءت مسز انجلثروب وكانت لا تزال بادية الاضطراب .. فتناولنا الطعام في صمت ، واستكان الفريد انجلثروب في مقعده ، فلم يضع وسادة خلف ظهر زوجته ولم يقم بدور الزوج المحب المخلص كما اعتاد أن يفعل .

وبعد الطعام ، قالت مسز انجلثروب تحدث ماري كافنديش :

ــ ارسلي إلي قهوتي ، فلا يزال لدي عمل يستغرق بضع دقائق ..

وانتقلت مع سنثيا الى قاعة الاستقبال ، وجاءت ماري بأقداح القهوة وقالت :

ــ هلا حملت الى مسز انجلثروب قدحها يا سنثيا؟ . سأصب القهوة في القدح.

فقال انجلثروب :

ــ دعي ذلك لي يا ماري . سأحمل القدح الى اميلي .

وصب القهوة في القدح ، وعبر به الغرفة وهو يسير في حذر ، وتبعه لورنس .. أما ماري فإنها جلست بجوارنا وقالت وهي ترسل بصرها عبر النافذة :

ــ أن الحر شديد الليلة والجو ينذر بعاصفة رعدية ..

* * *

ومن بواعث أن تلك الجلسة الهادئة لم تستمر طويلاً .. فقد سمعت بعد قليل صوتاً أعرفه جيداً وأمقته من كل قلبي ينبعث من البهو .. وهتفت سنثيا قائلة :

ــ هو ذا الدكتور باورشتاين .. أليس عجيباً أن يأتي في مثل هذا الوقت ؟..

فنظرت الى ماري كافنديش ، ولكنها ظلت في مكانها ولم يطرأ على وجهها الشاحب أي تغيير ..

وبعد لحظة دخل الفريد انجلثروب ومعه الدكتور باورشتاين .. وكان

هذا الأخير يضحك ويقول انه ليس في حالة تسمح له بدخول قاعة استقبال .. والواقع انه كان في حالة محزنة وكانت ثيابه كلها ملطخة بالأوحال .

وصاحت ماري كافنديش حالما رأته :

— ماذا دهاك يا دكتور ؟.

فأجاب :

- يجب أن اعتذر لكم والحقيقة انني لم أكن أريد الدخول ولكن مستر انجلثروب أصر ..

وأقبل جون في هذه اللحظة قادماً من البهو رأى باورشتاين .. وصاح :

— انك في حالة يرثى لها يا باورشتاين .. تناول القهوة وقل لنا ماذا كنت تفعل ..

فضحك باورشتاين وقال انه اكتشف فصيلة نادرة من نبات العوسج في مكان يتعذر الوصول اليه ، فلما حاول أختل توازنه وسقط في مستنقع ..

وختم حديثه بقوله :

— لقد جففت الشمس ثيابي . ولكن منظري لا يزال مزرياً ..

وفي هذه اللحظة ، سمعنا صوت مسز انجلثروب ... وهي تدعو سنثيا فأسرعت اليها الفتاة ، فقالت لها :

— هلا حملت عني هذه الحقيبة ايتها العزيزة ؟.

انني سأذهب الى فراشي ..

وكان باب قاعة الاستقبال مفتوحاً على مصراعيه فنهضت واقفاً حالما نهضت سنثيا ، ووقفت على مقربة من جون ..

وهكذا كان هناك ثلاثة شهود يستطيعون أن يقسموا انهم ابصروا بمسز

انجلثروب وبيدها قدح القهوة الذي لم تكن قد تذوقته بعد ..
وكان قدوم باورشتاين قد عكر على صفوي وخيل الي انه لن ينصرف أبداً ولكنه نهض أخيراً فتنفست الصعداء..
وقال انجلثروب يحدثه ·
ـ سأرافقك الى القرية يا دكتور .. إذ يجب ان أقابل وكيل اعمالنا لتصفية بعض الحسابات .
ثم التفت الى جون وقال :
ـ لا ضرورة لأن يسهر أحد في انتظار عودتي .. فسأخذ مفتاح الباب الخارجي .

الفصل الثالث

ليلة المأساة

كان الوقت حوالي منتصف الليل حين أيقظني لورنس كافنديش من النوم .

كان ممسكاً بشمعة في يده ، فأدركت من الانزعاج الذي يبدو على وجهه أن في الأمر شيئاً خطيراً ، فاعتدلت جالساً في فراشي .. وسألته وأنا أحاول جمع شتات افكاري:

- ماذا حدث ؟

- يخيل إلي أن امي مريضة جداً . وانها مصابة بنوبة .. ومن سوء الحظ ان بابها مغلق من الداخل .

سأذهب معك فوراً ..

ووثبت من فراشي والقيت غلالة على كتفي ، وتبعته في الدهليز المؤدي الى الجناح الأيمن ، وانضم الينا جون ، وقابلنا في طريقنا خادماً أو اثنين تبدو عليهما دلائل الحيرة والجزع .

والتفت لورنس الى أخيه وسأله :

- ما أفضل شيء يمكننا عمله ؟

فلم يجبه جون وراح يعالج مقبض باب مسز انجلثورب بقوة وعنف ولكن بدون جدوى .. كان من الواضح ان الباب أغلق بالمفتاح والمزلاج من الداخل.

وفي هذه الأثناء كان أهل القصر جميعاً قد استيقظوا من النوم ،على أن أشد الاصوات ازعاجاً كان الأنين والصراخ المنبعثين من داخل الغرفة .

وكان من الضروري عمل شيء فصاحت دوركاس :

- حاول أن تدخل من غرفة مستر انجلثروب يا سيدي مسكينة سيدتي !.

ولاحظت فجأة ان الفريد انجلثروب ليس موجوداً بيننا وانه الوحيد الذي لم يظهر .. ففتح جون باب غرفته ، وكان الظلام حالكاً في داخلها .. ولكن لورنس جاء في أعقابه والشمعة في يده ،واستطعنا أن نرى في نور الشمعة الباهتة أن فراش انجلثروب لم يمس .. وانه ليس هناك ما يدل على انه كان موجوداً بغرفته ..

واجتزنا الغرفة الى الباب الموصل الى غرفة مسز انجلثروب ولكننا وجدناه أيضاً مغلقاً من الداخل .. فما العمل ؟

قال جون :

— أظن اننا يجب أن نحطم هذا الباب .. انها مهمة صعبة ولكن لا بد منها .. ولتذهب احدى الوصيفات لتوقظ (بايلي) وتقول له أن ينطلق بالسيارة في طلب الدكتور (ويلكنز) .. والآن .. لنحاول تحطيم هذا الباب . ولكن صبرا لحظة .. ان غرفة سنثيا تقع في الجانب الآخر من غرفة أمي .. الا يوجد باب بين الغرفتين ..

فأجاب دوركاس :

— يوجد باب ولكنه مغلق بالمزلاج ولم يفتح قط ..

— سنرى ..

وانطلق يعدو في الدهليز الى غرفة سنثيا ، ووجدنا ماري كافنديش هناك تهز الفتاة بعنف وتحاول أن توقظها .

وقفل جون راجعاً وهو يقول :

— لا فائدة ، انه مغلق كذلك ، والرأي عندي أن نحطم هذا الباب فانه

يبدو أقل صلابة من الباب المؤدي الى الدهليز .

والقينا بثقلنا على الباب ، ولكنه قاوم جهودنا ، وبعد محاولتين أو ثلاث فتح بصوت مزعج، فاندفعنا الى الداخل ، وكان لورنس لا يزال ممسكاً بالشمعة فرأينا على ضوئها مسز انجلثروب ممددة في فراشها .. ونوبات الألم تهز جسدها هزاً عنيفاً ، ويبدو انها قلبت المائدة القائمة بجوار فراشها في احدى هذه النوبات

يبدو ان اعضاءها المتشنجة ما لبثت ان تراخت ، واستقر رأسها على الوسادة ..

وعندئذ أسرع جون فأضاء النور، وامر احدى الخادمات باحضار زجاجة (البراندي) من قاعة الطعام..ثم اقترب من فراش امه .. بينما كنت بدوري افتح مزلاج الباب المؤدي الى الدهليز ..

ولما فرغت من ذلك نظرت حولي باحثاً عن لورنس لكي اقول له انـه لم تبق ضرورة لوجودي ، وانهم الآن في غير حاجة الي. ولكن الكلمات تجمدت على شفتي .. فقد رأيت على وجهه آية من آيات الهلع لم أر لها فقط مثيـلاً على وجه انسان .

كان شحوبه عنيفاً ، وكانت يده تهتز بالشمعة فيتناثر ذوبها على السجادة وقد جمدت عيناه من محجريها من فرط الفزع ، وتعلقتا بمكان في الجدار .. فنظرت بالغريزة الى حيث كان ينظر، ولكني لم ار شيئاً غير عادي ، لم ار سوى المدفأة وعليها آنية زهر وبعض التحف العادية التي لا يمكن أن تثير في نفسه كل هذا الهلع .

ويبدو ان آلام مسز انجلثروب فقدت الكثير من حدتها . لأن العجـوز المسكينة استطاعت أخيراً ان تقول بانفاس لاهثة :

- انني الآن .. أحسن حالا .. كان غباء مني .. ان اوصد البـاب .. من الداخل .

وسقط ظل على الفراش فرفعت رأسي ورأيت ماري كافنديش واقفة بالباب وذراعها حول خصر سنثيا وكأنها تساعدها على الوقوف . بينما كانت الفتاة تتثاءب بلا انقطاع ويبدو عليها الذهول .

ولاحظت ان ماري ترتدي الثياب التي اعتادت ان تعمل بها في الحظيرة .. فأدركت انني لا بد قد اخطأت في تقدير الوقت ، والواقع ان بصيصاً من ضوء النهار كان ينبعث من بين شقي الستار .. وكانت الساعة فوق المدفأة تشير الى الخامسة ..

وفجأة ، انبعث من الفراش صرخة مختنقة . كانت العجوز التعسة تعاني من نوبة الم جديدة . وكان مرأى تشنجاتها يبعث على الانزعاج والهلع فقد تقوس جسدها من فرط الألم حتى باتت تستند في فراشها على رأسها وقدميها ، وعبثاً حاولت ماري وجون ان يجرعاها بعض البراندي ..

وفي هذه اللحظة ، شق الدكتور باورشتاين طريقه الى وسط الغرفة .. وما ان وقع بصره على مسز انجلثروب في فراشها حتى جمد في مكانه ..

وفي نفس اللحظة ، صاحت مسز انجلثروب بصوت مختنق وهي تحملق نحو الدكتور :

– الفريد .. الفريد .

ثم سقط رأسها على الوسادة وسكنت حركتها .

حينئذ أسرع الدكتور الى الفراش وامسك بذراعي مسز انجلثروب ، وراح يحركها بقوة على النحو المألوف في التنفس الصناعي ، واصدر في ذات الوقت بضعة اوامر للخدم ، واشار الينا بيده .. فانسحبنا جميعاً نحو الباب ، ووقفنا نرقبه بأنفاس محتبسة .. رغم اننا كنا نشعر في قرارة نفوسنا بأن الأوان قد فات وانه لم يعد في الامكان عمل شيء بل انني أدركت من قسمات وجهه انه هو نفسه لا يتوقع أية فائدة ..

وأخيراً كف عن محاولاته وهز رأسه في حزن .

وفي هذه اللحظة سمعنا وقع اقدام تقترب بسرعة

كان القادم هو الدكتور ويلكنز . طبيب مسز انجلثروب الخاص .

وفي كلمات قليلة ، اوضح باورشتاين كيف انه كان ماراً بالقصر حين رأى السيارة تغادره لاستدعاء الدكتور ويلكنز . فدخل مسرعاً للاطمئنان على مسز انجلثروب .

ثم أومأ بيده نحو الفراش وصمت ، فغمغم الدكتور ويلكنز قائلاً :

— مسكينة هذه السيدة . لطالما حذرتها من اجهاد نفسها ولكنها لم تعبأ بتحذيري .. كان قلبها أضعف من ان يحتمل نشاطها المفرط .

* * *

ولاحظت ان باورشتاين يرقب الطبيب بإمعان ولا يحول عينيه عن وجهه ، وأخيراً قال :

— كانت التشنجات غاية في العنف ويؤسفني انك لم تشهدها بنفسك .

— أحقاً .. ؟

— بودي ان اتحدث اليك على انفراد .

ثم التفت الي واستطرد قائلاً :

— هل لديك مانع .. ؟

— كلا طبعاً .

فخرجنا جميعاً الى الدهليز ، وتركنا الطبيبين وحدهما .. وسمعنا بفور خروجنا صرير المفتاح في قفل الباب .

وهبطنا درج السلم ببطء .. وانا نهبة الشك والقلق فقد كان لي من القدرة على الاستنتاج والاستدلال ما جعلني أفسر سلوك الدكتور باورشتاين تفسيراً ازعجني واثار مخاوفي .

قالت ماري وهي تمسك بساعدي :

ـ ماذا هنالـــك .. ؟ لماذا يتصرف الدكتور باورشتـاين على هذا النحو الشاذ .. ؟

ـ هل تريدين رأيي ؟

ـ نعم .

ـ حسناً ..

ونظرت حولي لأتحقق من ان احداً لا يسمعني ، ثم قلت لها في همس :

ـ شتاين يظن ذلك ايضاً .

ـ اعتقد انها ماتت مسمومة .. وان الدكتور باور

فصاحت وهي تلتصق بالجدار وفي عينيها نظرة ذعر :

ـ ماذا .. ؟ مستحيل ... مستحيل ...

وتركتني فجأة .. وصعدت السلم مسرعة .. فتبعتها خشية ان تفقد وعيها ولكنها استندت الى حاجز السلم .. وصاحت وقد شحب وجهها :

ـ دعني . اريد ان اخلو إلى نفسي دعني وحدي دقيقة أو دقيقتين . اذهب انت مع الآخرين .

فاطعتها على كره مني ، وكان جون ولورنس قد ذهبا الى قاعة الطعـام ، فلحقت بهما .. وجلسنا هناك صامتين الى ان القيت السؤال الذي اعتقد انه كان يتحير على شفاه زميلي ايضاً :

ـ اين مستر انجلثروب .. ؟

فهز جون رأسه وأجاب :

ـ انه ليس بالبيت .

والتقت عيوننا ..

أين كان ألفريد انجلثروت ؟. لم يكن هناك ما يفسر غيابه ..

وتذكرت كلمات مسز انجلثروب الأخيرة قبل أن تلفظ أنفاسها

ترى ماذا كانت تعني ؟. وماذا كانت ستقول لو أمهلها الموت قليلاً ؟.

وأخيراً سمعنا وقع أقدام الطبيبين وهما يهبطان السلم ..

كانت تبدو على ويلكنز دلائل الانفعال الشديد رغم تظاهره بالهدوء .. أما باور شتاين فكان جاداً صارم الوجه .

وقال ويلكنز يحدث جون .

– أود أن أرجوك الموافقة على تشريح الجثة يا مستر كافنديش .

فأجاب جون وقد عبرت بوجهه سحابة ألم :

– وهل ذلك ضروري ؟.

فأجاب باور شتاين :

– ضروري جداً .

– هل تعني أن ..

– أعني أنه لا الدكتور ويلكنز ولا أنا نستطيع إصدار شهادة وفاة في مثل هذه الظروف .

فقال جون وهو يطرق برأسه :

– في هذه الحالة لا سبيل إلا أن أوافق .

فقال ويلكنز بسرعة :

– شكراً لك .. نحن نقترح إجراء التشريح غداً مساء .. وأظن أنه لا مفر في هذه الحالة من أن يحدث تحقيق .. ولكن هذه إجراءات مألوفة ولا ينبغي أن تنزعجوا .

وساد صمت قصير ، ثم أخرج باور شتاين من جيبه مفتاحين قدمهما إلى جون قائلاً :

– هذا مفتاحا غرفتي مسز انجلثورب وزوجها ، لقد أغلقتهما وأرى من الأفضل في الوقت الحاضر أن تظلا مغلقتين ..

وانصرف الطبيبان ..

وعندئذ وجدت أن الوقت ملائم للادلاء بالفكرة التي خطرت لي منذ دقائق وقلبتها في ذهني على كل وجوهها ..

ولكنني ترددت ، فقد كنت أعرف عن جون أنه إنسان متفائل .. يفزع من مقابلة المتاعب في منتصف الطريق .. ولذلك سيكون من العسير إقناعه بفكرتي .

أما لورنس فكان على عكسه تماماً رجلاً واسع الأفق متفتح الذهن .. يمكنني الاعتماد على تأييده .

وحزمت رأيي وقلت :

– أريد أن أسألك شيئاً يا جون

– ما هو ؟.

– هل تذكر صديقي بوارو ؟. ذلك البلجيكي الذي قابلته أمام مكتب البريد ؟ أنه كان في وقت ما أشهر بوليس سري في أوروبا .

– نعم .

– أريدك أن تسمح لي بأن أدعوه لتحقيق هذا الموضوع .

– ماذا ؟. الآن .. قبل التشريح ؟.

– نعم .. فإن من المفيد أن نكسب بعض الوقت إذا كانت الوفاة .. جنائية .

فصاح لورنس في غضب :

– هراء !. هذه ضجة جوفاء أثارها باور شتاين ، لقد كان ويلكنز خالي الذهن إلى أن أوحى اليه باروشتاين بالفكرة ، وباروشتاين معتوه كجميع الاخصائيين .. ان السموم هوايته .. ومن الطبيعي أن يتوهم وجودها في كل مكان .

وأعترف بأن سلوك لورنس أدهشني .. فإني لم أره قط غاضباً ومتحمساً كما كان في تلك اللحظة .

أما جون فإنه تردد قليلاً ثم قال :

إني لا أوافقك يا لورنس.. ومن رأيي أن نطلق يد هاستنجز وندع له حرية التصرف ، وإن كنت أفضل الانتظار قليلاً .. فإننا لا نريد فضيحة لا مبرر لها .

فصحت قائلاً :

— كلا .. لن تكون هناك فضيحة . ان بوارو هو الكتمان مجسداً .

- حسناً إذن .. سأترك لك الأمر فافعل ما يتراءى لك .

فنظرت في ساعتي ..

كانت الساعة السادسة .. فقررت أن أشرع فوراً ..

بيد اني سمحت لنفسي بخمس دقائق قضيتهـــا في البحث في المكتبة حتى عثرت على كتاب طبي يتضمن وصفاً دقيقاً لأعراض التسمم الاستركنيني .

الفصل الرابع

بوارو يعمل

كان البيت الذي يقيم به البلجيكيون في القرية يقع على مقربة من الحديقة العامة ، ويمكن الوصول اليه بسرعة عن طريق الممر الضيق الذي يخترق الحقول ، فسرت في هذا الممر . وما كدت اقترب من البيت حتى رأيت رجلاً يعدو نحوي .

كان الرجل هو انجلثروب .. فأين كان ؟. وكيف سيفسر غيابه ؟.

صاح حالما اقترب مني :

— يا للكارثة !. زوجتي المسكينة !. لقد سمعت النبأ في التو واللحظة .

— أين كنت ؟.

— كنت اراجع الحساب مع (دني) وفرغت من ذلك في الساعة الواحدة صباحاً ، ثم اكتشفت انني نسيت مفتاح الباب الخارجي ، ولم أشأ ان أزعج أحداً فقضيت بقية الليلة في بيت دني .

— وكيف عرفت النبأ .

— لقد مر ويلكنز بدني .. وطلب اليه أن ينبئني .. مسكينة اميلي !.

كان انكار الذات من ابرز صفاتها .. وكانت تكلف نفسها فوق ما تطيق في حقل الخدمة العامة .

كان صوته ولهجته يقطران زيفاً ونفاقاً فأحسست نحوه بنفور شديد .

قلت له :

ـ يجب أن أسرع الآن .

وحمدت الله على انه لم يسألني الى أين أقصد وبعد بضع دقائق .. كنت أطرق باب بوارو .. ولما لم أسمع جواباً أعدت الطرق ففتحت احدى النوافذ بحذر ، وأطل منها بوارو ، ودهش حين رآني .. فرويت له بايجاز قصة المأساة وطلبت معونته فقال :

ـ صبراً يا صديقي .. سأفتح لك الباب وستروى لي الحادث بأسهاب ريثما أرتدي ثيابي .

وفتح الباب ، وذهب بي الى غرفته وقدم لي مقعداً .

ورويت له القصة كاملة ، ولم أخف عنه شيئاً مهما كان تافهاً .

ذكرت له كيف استيقظت، وحدثته عن كلمات مسز انجلثروب الاخيرة، وعن غياب زوجها ، والمشاجرة التي حدثت، والكلمات التي سمعتها من الحديث الذي دار بين ماري ومسز انجلثروب، والخلاف الذي حصل بين هذه الأخيرة وايفيلين هوارد .. والتلميحات المثيرة التي تضمنتها عبارات ايفيلين .

ومن فرط حرصي على الايضاح .. كنت أعيد كلامي واكرره ، حتى لقد ابتسم بوارو وقال :

ـ انك مضطرب الذهن .. ومنفعل ، وهـــذا طبيعي . سوف نبحث التفصيلات عندما تهدأ فنرتب الحقائق ونضع كلا منها في مكانها الصحيح .. ونستبعد منها ما لا أهمية له .

ـ ولكن كيف تستطيع التمييز بين المهم وغير المهم ؟. فهز بوارد رأسه بشدة وقال وهو يفتل شاربه :

ـ ان كل حقيقة تقودنا الى حقيقة أخرى . وهكذا . ثم نضع الحقائق جنباً الى جنب فاذا اتصلت واستقامت كان بها ، وإلا فعلينا ان نبحث عن

الحلقة المفقودة .

ان بعض التفصيلات قد تبدو تافهة .. ولكن ويل للبوليس السري الذي يهمل الحقائق التافهة الصغيرة .. ان كل حقيقة مهما ضؤلت لها أهميتها .

ـ انك قلت لي ذلك مراراً ولذلك حرصت على أن أضع أمامك التفصيلات كاملة بصرف النظر عما أراه هاماً أو غير هام .

ـ أن لك ذاكرة قوية ، وقد سرت التفصيلات بأمانة ولكن ليس بالنظام المرغوب .. ولعل السبب انك مضطرب ذهنياً . ولهذا السبب أيضاً نسيت ان تذكر حقيقة ذات أهمية قصوى .

ـ ما هي ؟.

ـ لم تذكر ما اذا كانت مسز انجلثروب قد أكلت جيداً ليلة أمس .

فنظرت اليه في دهشة وأجبت :

ـ لا أعلم .. ولكني لا أرى أهمية ..

ـ أنت لا ترى .. ولكن ذلك مهم جداً .

ـ لماذا ؟. انها على قدر ما أذكر لم تأكل كثيراً لأنها كانت منزعجة ، وقد اضعف الأنزعاج قابليتها للطعام .. وهذا أمر طبيعي .

فقال بوارو وهو مستغرق في التفكير :

ـ نعم .. هذا أمر طبيعي .

وفتح أحد الادراج ، وتناول منه حقيبة صغيرة وقال :

ـ هأنذا على استعـــداد .. سنذهب الآن الى القصر لبحث الموضوع على الطبيعة .

وفي الطريق الى القصر ، أجال بوارو البصر بين الحقول وهتف :

ـ ما أجمل هذه المزارع ؟.. مساكين اصحابها .. انهم لا يستمتعون بجمالها لأنهم الآن في حزن عميق ..

ونظر إلي بحدة .. فشعرت بالخجل .. وأدركت أن جو الأسرة خال فعلاً

من العاطفة ، وتساءلت .. هل تشعر الأميرة حقاً بحزن عميق ؟.

لقد كانت العجوز تفتقر الى موهبة كسب حب من حولها ... صحيح أن موتها كان صدمة ... ولكنه في الواقع لم يثر حزناً شديداً .

ويبدو ان بوارو كان يتابع خواطري ، لأنه هز رأسه وقال :

- انك على حق ، إذ ليست هناك صلة دم ، كانت العجوز كريمة مع آل كافنديش ... ولكنها كانت مجرد زوجة اب .

- مسيو بوارو ... هل لك ان تخبرني لماذا أردت معرفة مـا إذا كانت مسز انجلثروب قد اكلت جيداً ليلة امس ؟.

انني فكرت ملياً ولم أجد لذلك صلة بالموضوع .

ففكر لحظة ثم أجاب :

- لا مانع من ان اخبرك .. رغم انني تعودت ألا أدلي بايضاحات إلا في النهاية . انني اعتقد ان مسز انجلثروب ماتت مسمومة بالاستركنين وان السم وضع لها في القهوة .

- إذن ؟..

- متى تناولتم القهوة ؟.

- حوالي الساعة الثامنة .

- إذن فهي قد تناولت قهوتها فيما بين الثامنة والثامنة والنصف. والمعروف ان الاستركنين سم سريع .. ولكن في حـــالة مسز انجلثروب لم يظهر تأثير السم إلا في الخامسة من صباح اليوم التالي .. اي بعد نحو تسع ساعات ، فاذا كانت قد تناولت وجبة كبيرة ... فان تأثير السم قد يتأخر .. ولكن ليس كل هذه المدة .

ذلك مجرد احتمال يجب ان يوضع في الاعتبار .

ولكنك قلت انها لم تتناول من الطعام إلا قليلاً .. ومع ذلك لم يظهر تأثير السم إلا في صباح اليوم التالي ... وهذه ظاهرة عجيبة قد يجد لها التشريح

تفسيراً .. ولكننا يجب في الوقت الحاضر أن ندخرها في ذاكرتنا .

ولما اقتربنا من البيت ، خرج جون لاستقبالنا .

كانت تبدو على وجهه دلائل التعب والاجتهاد .

قال :

– انه لحادث مزعج يا مسيو بوارو ... هل قال لك هاستنجز اننا لا نريد أن تثار ضجة حول الموضوع ؟

– لقد فهمت ذلك .

– أن المسألة مجرد ارتياب .. ولا يوجد بعد دليل قاطع .

– سوف نخطو بحذر شديد .

فنظر جون الي وقال وهو يشعل لفافة تبغ :

– هل تعلم ان انجلثروب قد عاد ؟.

– نعم .. انني التقيت به .

– ان من الصعب معرفة الطريقة التي ينبغي ان نعامله بها .

فأجاب بوارو بهدوء :

– هذه الصعوبة ستزول قريباً .

فبدا على جون كأنه لم يفهم ، وقال وهو يقدم لي المفتاحين اللذين أخذهما من باورشتاين :

– دع مسيو بوارو يرى كل ما يريد رؤيته .

فسأله بوارو :

– هل الغرف مغلقة ؟.

– كان من رأي الدكتور باورشتاين ان من الأفضل اغلاقها .

– هذا يدل على انه واثق تماماً .

وانتقلنا الى مسرح المأساة .. وشرع بوارو في تفتيش الغرفة بدقة .

كان يلتقل من مكان الى آخر بخفة عجيبة .. أما أنا فقد وقفت بالباب حتى

لا أطمس أي أثر من الآثار .

غير أن بوارو صاح بي :

– ماذا دهاك يا صديقي ؟. لماذا تقف هكذا ؟. فأوضحت له انني اريد ان أطمس ما قد يكون هناك من آثار اقدام فصاح :

– آثار أقدام .. عن أية اثار تتكلم ؟. لقد دخل هذه الغرفة جيش برمته، كلا يا صديقي .. ادخل وساعدني في ابحاثي . انني لست الآن بحاجة الى هذه الحقيبة .

ووضع حقيبته الصغيرة على مائدة صغيرة بالقرب من النافذة ولكنه ما كاد يفعل ذلك حتى انهارت المائدة ، ويبدو انهـــا كانت مفككة ، وسقطت الحبيبة على الارض .

صاح :

– يا لها من مائدة ؟ ان الانسان قد يقيم في بيت كبير ولكنه لا يجـــد الراحة التي ينشدها

قال ذلك ثم واصل البحث ، ولفت نظرة حقيبة . حمراء صغيرة علىمائدة الكتابة ، كان مفتاحها في قفلها ، فتناول المفتاح وقدمه الي لأفحصه ، ولكني وجدته مفتاحاً عادياً لا يختلف عن أمثاله . إلا بوجود قطعة من السلك الرفيع ملفوفة حول مقبضه .

وانتقل بوارو بعد ذلك الى فحص اطار الباب الذي حطمناه .. وتأكـد بنفسه من ان المزلاج كان موصداً فعلاً .

ثم فحص الباب المقابل المؤدي الى غرفة سنثيا ،وكان موصداً بالمزلاج أيضاً، ففتحه بوارو وحركه مراراً وتأكد من انه لا يحدث صوتاً أو صريراً ..

وفجأة .. لفت نظره شيء في المزلاج نفسه ، ففحصه بعناية ، ثم اخرجمن حقيبته ملقاطاً انتزع به شيئاً دقيقــاً وضعه في مظروف صغير بعناية شديدة .

وكانت فوق أحدى الموائد صفحة عليها موقد كحولي وآنية صغيرة وقدح به بقية شراب ، فوضع بوارو أصبعه في القدح ، ثم تذوقه وقلب شفته بشيء من الاشمئزاز وقال

ـ كاكاو .. ممزوج بشيء أعتقد انه (روم) .

ثم نظر الى الأشياء المبعثرة حول المائدة الصغيرة هنا وهناك .

هتف قائلاً .

ـ هذا عجيب !.

يجب أن اعترف بأنني لا أرى ما يدعو الى العجب .

ـ أحقاً ؟ . انظر الى زجاجة المصباح .. انها تحطمت الى جزأين مازالا بجوار المصباح .. ثم انظر الى قدح القهوة ، انه سحق سحقاً وتحول الى ذرات صغيرة

ـ لا بد أن بعضهم قد وطأه بقدمه .

ـ تماماً .. ان بعضهم قد وطأه بقدمه .

قال ذلك واقترب من المدفأة ببطء، ووقف هناك يتأمل التحف وينظمها، وأخيراً تحول الي وقال .

ـ يا صديقي .. ان بعضهم قد وطأ القدح بقدمه وأحاله الى مسحوق .. أما لأن القدح كان يحتوي على سم الاستركنين ، وأما ـ وهذا هـو الأخطر ـ لأنه لم يكن يحتوي على الاستركنين .

فتملكني الحيرة ولكني كنت أعلم ان لا فائدة من مطالبته بالإيضاح .

وبعد لحظة ، التقط حزمة المفاتيح وراح يعبث بها بأصابعه ثم اختار من بينها مفتاحاً لامعاً وضعه في قفل الحقيبة الحمراء وحركه ففتح القفل .

ولكنه بعد تردد قصير عاد فأغلقه ووضع حزمة المفاتيح في جيبه ، وهو يقول :

ـ ليست لي السلطة لفحص ما في هذه الحقيبة من اوراق .. ولكن لا بد

من فحصها ، وفوراً . .

ثم اجتاز الغرفة الى النافذة اليسرى ، ولفت نظره وهو يفعل ذلك بقعة مستديرة لا يكاد لونها يختلف عن لون السجادة فجثا على ركبته وفحصها باهتمام بل والصق انفه بها ليتبين رائحتها .

وأخيراً صب بعض الكاكاو في انبوبة اختبار وسد الأنبوبة جيداً ثم أخرج دفتر مذكراته وقال وهو يكتب :

- اننا وجدنا في هذه الغرفة ستة اشياء هامة.. هل أحصيها لك أم تحصيها أنت ؟..

أحصها أنت .

- حسناً إذن ، الشيء الأول هو قدح القهوة الذي سحق سحقاً ، والثاني هو حقيبة الأوراق التي وجد مفتاحها .. والثالث هو هذه البقعة

- لعلها بقعة قديمة .

كلا .. انها لا تزال رطبة .. وتنبعث منها رائحة القهوة ..

والشيء الرابع ، هو قطعة من نسيج أخضر داكن ، انهـا مجرد خيط أو خيطين .. ولكنها تؤدي الغرض

أهي ذلك الشيء الذي وضعته في المظروف الصغير .

- نعم ، وربما يثبت انها قطعة من أحد ثياب مسز انجلثروب نفسهـا ولا أهمية لها ، ولكننا سنبحث الأمر ، والشيء الخامس هو هذا

وأشار بحركة مسرحية الى بقعة كبيرة من دهن الشمع منتشرة على الأرض بجوار المكتب الصغير ، واستطرد قائلاً .

انها بقعة جديدة،ولولا ذلك لسارعت احدى الخادمات الى ازالتها بقطعة من ورق النشاف ومكواة ساخنة .

أكبر الظن انها حدثت أمس،فقد كنا في اشد حالات الجزع والاضطراب ومن المحتمل كذلك أن تكون شمعة قد سقطت من يد مسز انجلثروب نفسها .

ـ كم شمعة كانت معكم لدى دخولكم هذه الغرفة ليلة أمس ؟.

شمعة واحدة كان يحملها لورنس كافنديش ، وقد استولى عليه فزع شديد شل حركته وهو ينظر الى شيء حول المدفأة .

فقال بوارو وهو ينظر الى المدفأة والجدار الذي خلفها .

ـ هذا أمر مثير .. ولكن شمعة لورنس لم تحدث هذه البقعة الكبيرة ... فالبقعة من الشمع الأبيض أما شمعة لورنس التي لا تزال فوق مائدة الزينة فانها وردية اللون .. أضف الى ذلك انه لا توجد شموع في غرفة مسز انجلثروب .. لأنها تقرأ على ضوء المصباح لا على ضوء الشموع .

ـ وماذا تفهم من ذلك ؟ .

ـ يجب أن تستخدم مواهبك يا صديقي .

ـ والشيء السادس ؟. هل هو بقايا الكاكاو ؟.

ـ كلا .. كان بوسعي أن اجملها الشيء السادس . ولكني لم افعل .. كلا ، أنني سأحتفظ بالشيء السادس لنفسي في الوقت الحاضر .

وأجال البصر حول الغرفة بسرعة ثم قال :

ـ أظن أنه لم يبق لنا ما نفعله هنا . اللهم إلا ..

ونظر طويلا الى رماد المدفأة ثم قال :

ـ ان النار تشتعل وتدمر ، ولكنها قد تبقى على شيء ، فلنرا ..

وجثا على ركبتيه ، وراح يحرك الرماد بالقضيب الحديدي بحذر شديد ، وفجأة صاح :

ـ علي بالكاشة يا هاستنجز .

فناولته الكاشة التي تستخدم عادة في وضع قطع الفحم في المدفأة ، وبمهارة فائقة ، التقط بوارو قطعة صغيرة من الورق نصف محترقة وهتف :

ـ ما رأيك في هذه يا صديقي ؟.

فنظرت الى قصاصة الورق ، ورأيت فيها خمسة حروف يتألف منها المقطع

الأخير من أحدى الكلمات ، والمقطع الأول من كلمة أخرى ..

وكانت الورقة من نوع سميك يختلف عن الورق العادي وتبلجت في ذهـني فكرة فصحت .

-- هذه قصاصة من وصية .

— تماماً ..

ألا يدهشك ذلك ؟

— كلا ، فقد كنت أتوقعه .

— قال ذلك ووضع القصاصة في حقيبته بنفس العناية التي يبذلها لكل شيء

وكان عقلي في دوامة ، فذهبت أسائل نفسي . ما سر هذه الوصية ؟ . ، ومن الذي أحرقها ؟. هل هو الشخص الذي ترك بقعة الشمع على السجادة ... لابد أن يكون الأمر كذلك. ولكن كيف تسنى لأي انسان دخول الغرفة ؟. لقد كانت كل أبوابها موصدة من الداخل .

— قال بوارو :

-- سنذهب الآن يا صديقي ، ولكني أريـــد أن ألقي بعض الأسئلة على الوصيفة ، اسمها دوركاس .. أليس كذلك ؟.

ومررنا بغرفة ألفريد انجلثروب ، وقضي بوارو بضع دقائق في فحصها ،ثم انصرفنا بعد أن أعدنا اغلاقها ثم أعدنا اغلاق غرفة مسز انجلثروب

وذهب به الى مخدع مسز انجلثروب في الطابق الارضي كما طلب ، وتركته هناك وانطلقت للبحث عن دوركاس .

ولكني عندما عدت بها ، لم أجده في المخدع فصحت :

بوارو ... أين أنت ؟.

— أنا هنا يا صديقي .

— كان قد خرج الى الشرفة ووقف ينظر الى الحديقة بإعجاب .

هتف :

— حديقة رائعة .. وتصميم فذ .. انظر الى هذا الهلال ، والى النجوم التي في وسطه .. إن جمالها يبهر البصر ويخلب اللب .. ثم ان المسافات بين أعواد النبات منتظمة تماماً . هل تم تخطيطها وغرسها حديثاً ؟.

- نعم .. بعد ظهر أمس . ولكن هلم بنا فقد أحضرت دوركاس .

— أتبخل علي بلحظة أمتع فيها بصري بهذا الجمال ؟

— ولكن القضية أهم .

— ومن ادراك أن شجيرات البيجونيا (إذن الفيل) هذه ليست لها نفس الأهمية ؟

وكانت دوركاس تنتظر في المخدع وقد عقدت ذراعيها فوق صدرها .

كانت خير انموذج للوصيفات القدامى الطيبات . وكانت في البداية تنظر الى بوارو بارتياب ولكنه عرف كيف يطمئنها ويزيل شكوكها ، فقدم لها مقعداً وقال :

— تفضلي بالجلوس يا آنسة .

— شكراً لك يا سيدي .

— هل قضيت في خدمة سيدتك وقتاً طويلاً ؟.

— عشر سنوات يا سيدي .

— هذا وقت طويل حقاً وكنت خلاله مثال الامانة والاخلاص .

— كانت كريمة معي الى أقصى حد يا سيدي .

— إذن لا مانع لديك من الاجابة على بعض الاسئلة .. انني القيها بموافقة مستر كافندش التامة .

— طبعاً يا سيدي .

— سابدأ إذن بأن أسألك عن الاحداث التي وقعت بعد ظهر أمس ، فهل تشاجرت سيدتك مع أحد ؟.

— نعم يا سيدي .. ولكني لا أعرف ما إذا كان يجب أن ...

وصمتت ، وترددت فنظر اليها بوارو بحدة وقال :

— أصغي إلي يا دوركاس . يجب أن أعرف كل التفصيلات عن هذه المشاجرة. ولا تظني أن ذلك اهدار لأسرار سيدتك، لقد ماتت سيدتك ويجب أن نعرف كل الحقائق لكي نثأر لها .. لا شيء يستطيع أن يعيد الحياة الى سيدتك ، ولكننا نرجو ، إذا كانت هناك جريمة ، أن نقدم المجرم للعدالة لينال جزاءه .

فقالت دوركاس بحماسة :

— وذلك ما ارجوه أيضاً ، انني لا أريد ذكر الاسماء ولكن يوجد شخص هنا لا يطيقه أحد ، وقد كان يوماً أسود ذلك اليوم الذي وضع فيه قدمه في هذا البيت

فانتظر بوارو قليلاً حتى هدأت ثورتها ثم قال :

- لنتكلم الآن عن المشاجرة . . ماذا تعلمين عنها ؟

— حدث بعد ظهر أمس يا سيدي انني كنت أسير في الردهة ..

— في أية ساعة ؟.

— كانت الساعة الرابعة أو بعد ذلك بقليل ،كنت أسير في الردهة فسمعت أصواتاً عالية وغاضبة منبعثة من هذه الغرفة ، لم اكن أريد أن استرق السمع.. ولكن الاصوات طرقت اذني ..كان باب الغرفة مغلقاً ولكن صوت سيدتي كان حاداً وواضحاً ، فسمعتها تقول (انك كذبت علي وخدعتني). ولم اسمع ماذا قال مستر انجلثورب لأن صوته كان خافتاً ، ولكن سيدتي أجابت قائلة : (كيف تجسر ، انني اويتك و كسوتك وأطعمتك فانت مدين لي بكل شيء .. ولكنك قابلت صنيعي بتلويث اسمنا وجلب العار لنا) ومرة أخرى لم اسمع ماذا قال .

ومضت سيدتي تقول : (لا شيء مما تقوله يمكن أن يغير ما حدث ، انني

أعرف واجبي بوضوح وقد اتخذت قراري ويجب أن تعلم ان لا الخوف من التشهير ولا الفضيحة بين الزوج وزوجته يمكن أن يثنيني عن تنفيذ قراري .

ثم سمعت وقع أقدامها وهما يهمان بمغادرة الغرفة فأسرعت بالابتعاد .

- هل أنت واثقة من أن ما سمعته هو صوت مستر الجلثروب ؟.

- نعم يا سيدي ، وإلا فصوت من يكون ؟

- وماذا حدث بعد ذلك ؟.

- عدت الى الردهة بعد ذلك.. وكان الهدوء شاملاً ، وفي الساعة الخامسة دقت مسز الجلثروب الجرس وطلبت إلي ان أحضر لها قدحاً من الشاي وكانت شاحبـــة الوجه بادية الانفعال . وقالت لي : (لقد تلقيت صدمة شديدة يا دوركاس) . فأجبتها : (اني آسفة لذلك يا سيدتي ، ولكنك ستكونين أحسن حالاً وأهدأ نفساً متى تناولت قدحاً من الشاي) .

وكان بيدها شيء لا أعلم هل هو رسالة أو مجرد ورقة عادية . وقد ظلت تحملق فيها وكأنها لا تصدق ما كان مكتوباً بها ، وهمست قائلة وكأنها نسيت وجودي :

(هذه الكلمات القلائل تغير كل شيء) ثم قالت تحدثني : لا تثقي في الرجال يا دوركاس . انهم ليسوا أهلاً للثقة فانصرفت مسرعة وأحضرت لها قدحاً من الشاي فشكرتني واحتست الشاي وبدت أحسن حالاً وقالت : انني لا أعرف ماذا يجب أن أفعل . أن الفضيحة بين الزوج وزوجته أمر مخيف .. ربما كان الأفضل أن اكتم الأمر ما استطعت).. وفي هذه اللحظة جاءت مسز كافنديش فصمتت سيدتي ولم ترد

- وهل كانت الرسالة لا تزال في يدها ؟

- نعم يا سيدي .

- ماذا كان من المتوقع أن تفعل بها بعد ذلك ؟.

- لا أعلم يا سيدي.. لعلها كانت ستضعها في تلك الحقيبة الحمراء التي تحفظ

فيها أوراقها .

- هل تعودت أن تضع الأوراق الهامة في تلك الحقيبة ؟

- نعم يا سيدي . وكانت تأتي بالحقيبة من غرفتها كل صباح وتعود بهـا في المساء .

— متى فقدت مفتاح هذه الحقيبة ؟

— أمس ، في وقت العشاء وطلبت مني أن أهتم بالبحث عنه ، وكانت منزعجة لفقده

— ولكن كان لديها مفتاح اضافي ؟

— نعم يا سيدي .

قالت ذلك وهي تنظر اليه في فضول ودهشة .. وأعترف انني لم أكن أقل منها دهشة ، أما بوارو فانه ابتسم وقال :

- لا تعجبي يا دوركاس فان مهنتي هي البحث عن خفايا الأمور .. هل هذا هو المفتاح المفقود ؟.

وأخرج من جيبه المفتاح الذي وجده في قفل الحقيبة .

وحلقت دوركاس الى المفتاح وخيل الى أن عينيها تكادان ان تبرزا من محجريهما .

قالت :

انه هو يا سيدي . ولكن أين وجدته ؟. انني بحثت عنه في كل مكان.

انه لم يكن في مكانه أمس ولكنه كان اليوم، والآن لننتقل الى موضوع آخر .. هل لدى سيدتك ثوب أخضر داكن ؟.

فبهتت دوركاس لهذا السؤال غير المنتظر واجابت :

-- كلا يا سيدي .

— هل أنت واثقة ؟.

- نعم يا سيدي .

هل لدى أي شخص آخر في هذا البيت ثوب أخضر ؟.

فاطرقت الوصيفة برأسها مفكرة ثم أجابت :

ــ لدى مس سنثيا ثوب سهرة أخضر .

ــ داكن اللون ؟.

ــ كلا .

ــ هل لدى أحد ثوب أخضر داكن ؟.

ــ كلا .

فلم يبد على بوارو انه أحس بخيبة الأمل أو بأي شعور آخر وقال :

ــ حسناً ، لنترك هذا الموضوع ونتنقل الى سواه ، هل لديك من الاسباب ما يحملك على الاعتقاد بأن سيدتك تناولت عقاراً منوماً ؟.

ــ كلا يا سيدي . أنا واثقة من أنها لم تتناول عقاراً منوماً ليلة أمس .

ــ ولم هذه الثقة ؟.

ــ لأن علبة المسحوق المنوم كانت فارغة .. ولأن سيدتي تناولت آخر جرعة منه منذ يومين ، ولم ترسل في طلب علبة جديدة .

ــ هل أنت واثقة ؟.

ــ كل الثقة يا سيدي

ــ إذن فالأمر واضح .. وبالمناسبة . هل طلبت منك سيدتك التوقيع على أية ورقة ليلة أمس ؟.

ــ كلا يا سيدي .

ــ عندما عاد مستر هاستنجز ومستر لورنس مساء امس ، وجدا سيدتك منهمكة في كتابة رسائل . فهل لديك أية فكرة عن الاشخاص الذين كتبت اليهم ؟..

كلا يا سيدي .. لأنني خرجت مساء أمس . ولكن ربما كانت (آني) تعرف . رغم انها فتاة مهملة ، وقد بلغ من اهمالها انها لم تحمل اقداح القهوة

ليلة أمس .. وهذا يحدث دائماً عندما لا أكون موجودة لمراقبة العمل

- أرجوك أن تدعي هذه الأقداح حيث تركت يا دوركاس فانني أريد أن أفحصها .

- حسناً يا سيدي .

- متى خرجت مساء أمس ؟

- حول الساعة السادسة يا سيدي

شكراً لك يا دوركاس .. هذا كل ما أردت الاستفسار عنه .

ونهض واقفاً ومشى الى النافذة واستطرد قائلاً :

- انني معجب بهذه الحديقة .. كم بستانياً يعملون هنا ؟.

ثلاثة فقط يا سيدي . كانوا خمسة قبل الحرب ، وكانت الحديقة رائعة حقاً . ولكن لم يبق من هؤلاء الخمسة سوى مانتنح العجوز ، ووليم الشاب . وامرأة من نساء العصر ترتدي سروالاً .. انه لزمن عجيب حقاً يا سيدي

- سوف تعود الأيام القديمة الجميلة يا دوركاس ، أو ان هذا على الأقل مـــا نرجوه . والآن .. هل لك ان ترسلي الى (آني) ؟.

- سأفعل يا سيدي ..

وما ان انصرفت دوركاس حتى سألت بوارو :

- كيف عرفت أن مسز انجلثروب تناولت عقاراً منوماً ؟ وما حكاية المفتاح المفقود وبديله ؟.

- عرفت موضوع العقار المنوم من هذا .

واخرج من جيبه علبة صغيرة من الورق المقوى ، من نوع العلب التي يضع فيها الصيادلة المساحيق والأقراص فسألته :

أين وجدت هذه العلبة ؟.

- في أحد الأدراج بغرفة مسز انجلثروب .

انها رقم ٦ في قائمة الأشياء التي وجدتها .

ـــ ربما .. ولكن ألم يلفت نظرك شيء عجيب فيها ؟.

فتناولت العلبة وفحصتها وأجبت :

ـــ كلا .. انها علبة عادية تماماً

ـــ انظر الى البطاقة الملصقة عليها .

فقرأت البطاقة بعناية .. كان مكتوباً عليها :

(تؤخذ جرعة قبل النوم عند الضرورة) ؟.

اجبته :

ـــ انني لا أرى فيها شيئاً غير عادي .

ـــ ألم تلاحظ أنها خالية من اسم الصيدلية ؟.

ـــ آه . هذا عجيب حقاً !.

ـــ هل سمعت ان صيدلية أرسلت علبة كهذه لا تحمل اسمها ؟.

ـــ كلا ..

ـــ ومع ذلك فان تفسير هذه الظاهرة بسيط جداً أيها الصديق ، ولا ينبغي أن تجهد نفسك في البحث عنه .

وفي هذه اللحظة دخلت (آني) .

كانت في مقتبل العمر ، وعلى جانب من الجمال .

وتحدث اليها بوارو في الموضوع ، دون مقدمات .

قال :

ـــ انني ارسلت في طلبك يا آني .. لأنني ظننت أن بوسعك أن تذكري لي شيئاً عن الرسائل التي كتبتها مسز انجلثروب ليلة أمس .. كم كان عددها ؟. ومن هم الأشخاص الذين أرسلت اليهم ؟.

ففكرت آني قليلاً ثم أجابت :

ـــ كانت أربع رسائل ، احداها لمس ايفلين هوارد والثانية لمستر ريلز المحامي . ولا أذكر لمن كانت الرسالتان الأخريان .. آه .. كانت الثالثة لمحلات

(روس) في « تادمستر » .. اما الرابعة فلا أذكر لمن كانت .

- فكري .

— أنا آسفة يا سيدي .

— لا بأس .. سأسألك الآن عن شيء آخر يوجد في غرفة مسز انجلثروب وعاء صغير به بقية من الكاكاو .. هل كانت تتناول الكاكاو كل ليلة ؟.

— نعم يا سيدي .. انه يوضع في غرفتها كل مساء ، وتقوم هي بتسخينه اثناء الليل ، حين ترغب في تناوله .

— هل هو كاكاو فقط ؟.

— نعم يا سيدي .. كاكاو باللبن ، مع ملعقة من السكر ، وملعقتين من الروم

— ومن الذي يحمله اليها ؟.

— انا يا سيدي ..

— دائماً ؟.

— نعم يا سيدي .

— في أي وقت ؟.

- عندما اذهب الى غرفتها لأسدل الستائر .

— هل تأتين به مباشرة من المطبخ ؟.

— كلا يا سيدي .. ان الموقد في المطبخ لا يتسع لكل الوان الطعام .. ولذلك تقوم الطاهية بعمل الكاكاو في وقت مبكر . قبل اعداد طعام العشاء .. وجرت العادة أن أحمله وأضعه على مائدة في الدهليز .. ثم أذهب به اليها فيما بعد .

— دهليز الجناح الأيسر .. اليس كذلك ؟.

— نعم يا سيدي .

- متى حملت الكاكاو الى الدهليز ليلة أمس ؟.

— حوالي الساعة السابعة والربع يا سيدي ..

— ومتى ذهبت به إلى غرفة مسز الجلثروب ؟.

— عندما قمت بإسدال الستائر حوالي الساعة الثامنة ، وقـــد أوت مسز الجلثروب إلى فراشها وأنا أفعل ذلك ..

— إذن فقد ظل الكاكاو على المائدة في الدهليز خلال الفترة بين السابعـــة والربع والثامنة ؟.

— نعم يا سيدي .

ثم استطردت قائلة بسرعة وقد احمر وجهها :

— وإذا كان قد وجد به ملح فأنا لست المسؤولة يا سيدي .. لأنني لا أضع الملح أبداً على مقربة منه .

— ولماذا تعتقدين انه كان به ملح ؟.

— لأنني رأيت الملح على الصحفة يا سيدي .

— رأيت الملح على الصحفة ؟.

— نعم .. كان ملحاً خشناً مما يستخدم في المطبخ ، ولم أفطن إلى وجوده عندما حملت الكاكاو من المطبخ ، ولكني رأيته عندما هممت بالدخـول إلى غرفة سيدتي .. وكان ينبغي أن أعود به إلى المطبخ وأن أطلب إلى الطاهية إعداد كمية أخرى من الكاكاو .. ولكني كنت في عجلة من أمري .. لأن دوركاس كانت قد خرجت .. ثم لأنني ظننت أن الملح ربمـــا لم يسقط في الكاكاو .. وانه قد وضع في الصحفة خطأ أو سهواً .. ولذلك أزلته بمئزري وحملت الكاكاو إلى سيدتي ..

استطعت بصعوبة أن أسيطر على مشاعري عندما سمعت هذا الكلام ..

لقد قدمت الينا (آني) ، دون أن تشعر ، دليلاً على جانب عظيم من الأهمية .. وكم سيكون ذعرها متى علمت أن (الملح الخشن) لم يكن سوى مادة الاستركنين .. انه أشد سم قاتل عرفه الإنسان ..

وعجبت لهدوء بوارو .. كانت سيطرته على نفسه تبعث على الدهشة ..

وقد انتظرت سؤاله التالي بفروغ صبر .. ولكنه أصابني بخيبة أمل .. سألها :

– عندما دخلت غرفة مسز انجلثورب .. هل كان الباب الموصل إلى غرفة الآنسة سنثيا موصداً بالمزلاج ؟

– نعم يا سيدي .. إنه موصد بصفة دائمة ولم يفتح قط .

– والباب الموصل إلى غرفة مستر انجلثورب .. هل لاحظت أنه موصد بالمزلاج أيضاً ؟.

فترددت الفتاة لحظة ثم أجابت :

– لا أعلم يا سيدي ، كان الباب مغلقاً ، ولكني لا أستطيع أن أجزم انه انه كان موصداً بالمزلاج .

– بعد أن غادرت الغرفة .. هل أوصدت مسز انجلثروب الباب وراءك؟

– كلا يا سيدي .. ولكن كان من المنتظر أن تفعل ذلك فيا بعد ، إنها اعتادت أن تغلق الباب ليلاً .. أعني الباب المؤدي إلى الدهليز .

– عندما نظفت الغرفة أمس .. هل لاحظت وجود بقعة من الشمع على السجادة ؟

– بقعة من الشمع؟. كلا يا سيدي.. لم يكن لدى مسز انجلثروب شموع ، وكانت تقرأ على ضوء المصباح .

– لو أن بقعة كبيرة من ذوب الشمع كانت على السجادة .. هل أنت واثقة من أنك كنت ستزينها ؟

– نعم يا سيدي .. وكنت أزيلها بقطعة من ورق النشاف ومكواة ساخنة .

وهنا كرر بوارو السؤال الذي ألقاه على دوركاس :

هل لدى سيدتك ثوب أخضر ؟

– كلا يا سيدي ..

– أعني ثوبا .. أو معطفا .. أو كاب .

– كلا يا سيدي ..

– أو لدى أي شخص آخر في هذا البيت ؟

ففكرت الفتاة طويلا ثم أجابت :

– كلا يا سيدي ..

– هل أنت واثقة ؟

– نعم يا سيدي ..

– شكراً جزيلا .. هذا كل ما أردت معرفته ..

وما أن انصرفت الفتاة حتى هتفت قائلا :

– دعني أهنئك يا بوارو .. إنه اكتشاف عظيم حقاً ..

– وما هو هذا الاكتشاف العظيم ؟

– إن السم كان في الكاكاو لا في القهوة .. وذلك يفسر لماذا لم يظهر تأثيره إلا في الصباح الباكر ، لأنها لم تتناول الكاكاو إلا في حوالى منتصف الليل ..

– هل تعتقد إذن ان الاستركنين كان في الكاكاو ؟.

– طبعاً .. وإلا ماذا كانت المادة التي وجدتها (آني) في الصفحة وظنتها ملحاً ؟

فأجاب بوارو في هدوء :

– ربما كانت ملحاً حقيقة .

فهززت كتفي ولم أجد ما أقوله ..

إذا كان هذا منطقه فلا بد أن تكون الشيخوخة قد أوهنت ذكاءه .

وكان بوارو يرقبني في هدوء وفي عينيه نظرة خبيثة .

قال :

– يخيّل إليّ انك غير راض عني أيها الصديق .

– ليس من حقي أن أملي عليك رأياً يا عزيزي بوارو .. إن لك وجهة نظرك كما أن لي وجهة نظري .

فقال وهو ينهض واقفاً :

– هذا خير ما يمكن أن يقال .. والآن ، لقد فرغت من هذه الغرفة وبهذه المناسبة . لمن هذا المكتب الصغير الذي أراه في ركن الغرفة ؟

– إنه مكتب مستر انجلثورب .

فقال وهو يعالجه :

– آه .. انه مغلق .. ولكن ربما يمكن فتحه بأحد مفاتيح مسز انجلثورب .

وأخرج من جيبه حزمة المفاتيح ، وأخذ يجربها الواحد تلو الآخر ، إلى أن دار أحدها في القفل وفتحه

والقى بوارو نظرة سريعة على الأوراق والملفات المرتبة في الدرج ولشد ما كانت دهشتي حين لم يمد اليها يداً واكتفى بقوله :

– من المحقق ان مستر انجلثورب رجل منظم .

ثم أجال الطرف حوله وقال :

– ليس في هذه الغرفة ما يفيدنا .. كل ما وجدناه بها هو هذا .

وأخرج من جيبه مظروفاً قديماً مهشماً دفع به إليّ ففحصته ..

كانت عليه ثلاث أو أربع كلمات كررها كاتبها كما يفعل الإنسان حين يختبر قلماً جديداً .

الفصل الخامس

السم

سألت بوارو في فضول :

ـ أين وجدت هذا المظروف ؟.

ـ في سلة المهملات .. هل تعرف الخط ؟

ـ نعم .. انه خط مسز انجلثورب .. ولكن ما معنى هذه الكلمات ؟.

ـ لا أعلم .. هلم بنا الآن لكي نفحص اقداح القهوة .

ـ وما الفائدة من ذلك بعد أن علمنا أن السم كان في الكاكاو ..

فقال وهو يرفع يديه نحو السماء :

ـ يا لهذا الكاكاو !.. تعال يا صديقي ودعني افحص أقداح القهوة .. ان ذلك لن يقلل من نظريتك عن الكاكاو .

وقصدنا الى قاعة الاستقبال حيث كانت أقداح القهوة لا تزال في أماكنها كا تركناها.. وطلب إلي بوارو أن أروي له كل ما حدث في تلك الليلة السابقة. وأصغى إلي بانتباه شديد .. وتحقق من مكان كل قدح .

قال :

ـ إذن فقد وقفت مسز كافنديش بجانب الصحفة التي عليها الأقـــداح ، وصبت القهوة . ثم اقتربت من النافذة حيث كانت تجلس مع الآنسة سلثيا ..

نعم .. ها هي الاقداح الثلاثة . وهذا القدح الذي على المدفأة .. لا بد انه قدح لورنس كافنديش .. ولكن قدح من هذا الذي على الصحفة ؟.

— قدح جون كافنديش . وقد رأيته حين وضعه هناك .

— حسناً .. هذه خمسة أقداح .. أين إذن قدح مستر انجلثروب ؟.

— انه لم يتناول القهوة .

— صبراً لحظة يا صديقي .

وتناول قطرة من كل قدح .. وتذوقها ثم وضعها في انبوبة اختبار خاصة وقال أخيراً :

— كانت لدي فكرة بعينها .. ولكن يبدو انني كنت مخطئاً ..

وهمت بأن أقول له أن اتجاهه حول القهوة ستنتهي به حتماً الى طريق مسدود .. ولكني آثرت الصمت

وأقبل جون في تلك اللحظة لينبئنا بأن طعام الأفطار قد أعد ودعا بوارو لتناوله معنا فوافق ..

ولاحظت أن جون قد استرد هدوءه ، وعاد إلى طبيعته السمحة المتزنة .

كانت أحداث الليلة السابقة قد صدمته وأزعجته .. ولكن بصفة مؤقتة .. عاد بعدها الى حالته الطبيعية . فقد كان رجلاً ضيق الأفق ضحل الخيال .. على عكس أخيه تماماً .

وقد قضى جون ساعات الصباح في عمل متصل فكتب طائفة من البرقيات، بينها برقية إلى ايفيلين هوارد ، وأرسل النعي الى الصحف ، واضطلع بغير ذلك من الواجبات المتصلة بالموقف .

قال يحدث بوارو :

— هل لي أن أسأل كيف تسير الأمور ؟. هل تشير ابحاثك وتحرياتك الى أن موت أمي كان طبيعياً .. أم يجب أن نعد انفسنا لما هو أسوأ .

فأجاب بوارو

— أظن يا مستر كافنديش أن من الأفضل ألا تخدع نفسك بآمال زائفة ..

ولكن هل تستطيع أن تخبرني بوجهة نظر باقي أفراد الأسرة ؟.

ـ ان أخي لورنس يعتقد اننا نثير ضجة لا مبرر لها ، ويقول أن جميع الدلائل تشير إلى أن الوفاة كانت نتيجة أزمة قلبية .

ومسز كافنديش ؟.

ـ ليست لدي أية فكرة عن وجهة نظر زوجتي في الموضوع .

وساد صمت عميق استمر بضع دقائق الى أن قال جون :

ـ هل قلت أن مستر انجلثروب قد عاد ؟.

فأومأ بوارو برأسه علامة الايجاب واستطرد يحتم علينا ان نعامله كالعادة . ولكن أين الأنسان الذي لا يشعر بالغثيان وهو يتناول الطعام مع قاتل ؟

ـ أعلم انه موقف عصيب بالنسبة اليك يا مستر كافنديش .. ولكني أود أن القي عليك سؤالاً .. ان عذر مستر انجلثروب في عدم العودة الى البيت ليلة أمس انه نسي أن يأخذ معه مفتاح الباب ، اليس كذلك ؟.

ـ نعم .

ـ هل أنت واثق من انه نسي المفتاح حقاً ولم يأخذه معه ؟.

ـ الواقع انني لم أفكر في ذلك .. اننا نضع المفتـــاح عادة في درج في الردهة .. سأذهب الآن لأرى هل لا يزال هناك ؟.

ـ لا ضرورة لذلك يا مستر كافنديش ، فقد فات الأوان الآن ، أنا واثق من انك ستجده في مكانه . واذا كان مستر انجلثروب قد أخذه .. فقد تهيأ له الوقت الكافي لأعادته .

ـ ولكن هل تظن أن ..

ـ انني لا أظن شيئاً .. لو أن احداً قد رأى المفتاح في الدرج قبل عودة مستر انجلثروب صباح اليوم.. لكان دليلاً في مصلحته . هذا كل ما في الأمر.

فبدت الحيرة على وجه جون ، ولم يجب .

* * *

ودار أفراد الأسر حول مائدة الأفطار في جو عابس خـال من المرح .. ولكن لم تكن هناك آهات أو تأوهات أو وجوه مكتئبـة حزينة . وقـد وجدت انني كنت على حق حين ظننت أن دوركاس سوف تكون هي الشخص الوحيد الذي أحزنته المأساة .

ولا أريد أن أتحدث عن الفريد انجلثروب ، فقد كان سلوكه كأرمل حزين ينضح بالنفاق إلى حد يثير النفور والاشمئزاز .

ترى هل كان يعلم أننا نرتاب فيه ؟. وهل يشعر في قرارة نفسه بالخوف .. أم انه مطمئن إلى أن جريمته ستمر بغير عقاب ؟

ولكن هل الجميع يرتابون فيه ؟.

هل ترتاب فيه مسز كافنديش مثلاً ؟

ونظرت اليها وهي جالسة على رأس المائدة .. رشيقة .. هـادئة . غامضة .

لقد لزمت الصمت المطلق .. فلم تفتح شفتيها ومع ذلك فقد كنت أشعر بشخصيتها القوية تسيطر علينا جميعاً .

وسنثيا الشابة اليافعة . هل ترتاب أيضاً في انجلثروب .

كانت تبدو متعبة مريضة .. فهي بطيئة الحركة ثقيلة الجفنين ..

سألتها عما إذا كانت تشعر بوعكة فأجابت في صراحة :

— نعم .. اني أشعر بصداع خفيف .

فقال بوارو :

— هل لك في قدح آخر من القهوة يا آنسة ؟ إنها خير ملطف للصداع .

وتناول قدحاً فملأه بالقهوة وهم بأن يضع فيه سكراً ، فقالت له :

— كلا . لا أريد سكراً ..

— لا تريدين سكراً ؟ هل تتجاوزين عن تناول السكر على سبيل الاقتصاد بسبب الحرب ؟

ـــ كلا .. اني لا أتناول القهوة بالسكر أبداً .

ـــ أحقاً ؟

ومعمته يتمتم بكلمات خافتة كمن يحدث نفسه . فنظرت اليه ، وأدهشني أن أرى عينيه الخضراوين تتألقان كعيني القط .

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت دوركاس وقالت وهي تنظر إلى جون :

ـــ مستر ويلز يطلب مقابلتك يا سيدي .

وتذكرت هذا الاسم ..

انه إسم المحامي الذي كتبت اليه مسز انجلثورب رسالة في الليلة السابقة .

ونهض جون على الفور وهو يقول :

ـــ إذهبي به إلى مكتبي .

ونظر الينا وقال :

ـــ انه محامي أمي ..

ثم أردف قائلاً بصوت خافت :

ـــ وهو أيضاً الذي يتولى تحقيق أسباب الوفيات الجنائية .. فهل تريدان مقابلته ؟.

فوافقنا .. وتبعناه إلى قاعة المكتب وكان يسير بخطى واسعة فتخلفنا عنه قليلاً وانتهزت الفرصة لكي أسأل بوارو :

ـــ هل سيجري إذن تحقيق في أسباب الوفاة ؟

فأومأ بوارو برأسه وهو شارد الذهن .

وخيل اليّ أنه يفكر في مشكلة عويصة ، فسألته :

ـــ ماذا بك ؟ إنك غير مصغ إليّ ..

ـــ الواقع يا صديقي إني متزعج جداً .

ـــ لماذا ؟

– لأن الآنسة سنثيا تتناول القهوة بغير سكر .

– ماذا تعني ؟. هل أنت جاد ؟

– جاد جداً .. هناك شيء لا أفهمه .. لقد صدقت غريزتي .

– أية غريزة ؟

– الغريزة التي دفعتني إلى الإصرار على فحص أقداح القهوة .. صه .. ولا ترد الآن .

ودخلنا قاعة المكتب وأغلق جون الباب .

كان مستر ويلز رجلاً لطيفاً حاد العينين في نحو الأربعين من عمره ،فقدمنا جون اليه ، وأوضح له سبب وجودنا وقال :

– على أننا ما زلنا نرجو ألا يكون هناك ما يستوجب التحقيق .

– طبعاً .. طبعاً .. ولكن من بواعث الأسف أن التحقيق أمر لا بد منه في حالة عدم وجود شهادة طبية .

– نعم .. أظن ذلك .

– إن الدكتور باورشتاين رجل بارع ويقال انه من أعظم الخبراء في السموم .

فقال جون بامتعاض :

– هذا صحيح .

ثم أضاف بعد تردد قصير :

– هل ستطلبنا جميعاً للإدلاء بأقوالنا ؟

– لا بد من سماع أقوالك أنت .. ومستر انجلثورب .. وقد نسمع أقوال آخرين كاجراء شكلي .

فتنهد جون وبدت على وجهه دلائل الارتياح ، الأمر الذي ادهشني .. إذ لم يكن هناك ما يبعث على الارتياح .

وقال مستر ويلز :

لقد فكرت في تحديد يوم الجمعة لتحقيق أسباب الوفاة .. حتى يجد الطبيب متسعاً من الوقت لتقديم تقريره . إن التشريح سيتم الليلة فيما أعتقد .

نعم !.

- هل يلائمك يوم الجمعة إذن ؟

- يلائمني تماماً ..

ـ لا أظنني بحاجة إلى التعبير عن بالغ أسفي وحزني لهذا الحادث المؤلم يا مستر كافنديش !

وهنا تكلم بوارو لأول مرة منذ دخلنا قاعة المكتب فقال :

- ألا تستطيع أن تقدم لنا أية معونة لإماطة اللثام عن سر هذا الحادث يا سيدي ؟.

ـ أنا ؟

ـ نعم ، فقد علمنا أن مسز انجلثروب بعثت اليك برسالة ليلة أمس .. ولا بد أنك تسلمتها صباح اليوم .

ـ إني تسلمتها فعلا .. ولكنها خالية من أية معلومات ، كل ما جاء بها أنها تدعوني لمقابلتها صباح اليوم ، لكي تستطلع رأيي في أمر هام !.

ـ ألم تشر في رسالتها إلى طبيعة هذا الأمر الهام ؟

ـ كلا .. لسوء الحظ .

ـ هذا أمر يؤسف له ؟

وساد الصمت،واستغرق بوارو في التفكير لحظة ثم تحول إلى المحامي وقال:

ـ مستر ويلز . أريد أن ألقي عليك سؤالاً أرجو ألا يتعارض مع واجبات مهنتك .. من الذي يرث مسز انجلثروب في حالة وفاتها .

فتردد المحامي قليلاً ثم أجاب :

ـ هذا أمر سيعلن قريباً جداً .. فاذا سمح مستر كافنديش ..

فقاطعه جون قائلاً :

- طبعاً .. طبعاً .

لقد نصت آخر وصية لها بتاريخ أغسطس من العام الماضي على بعض منح للخدم .. وفيما عدا ذلك فقد أوصت بكل ثروتها لمستر جون كافنديش ابن زوجها .

— أليس في ذلك - مع الاعتذار لمستر كافنديش - غبن كبير للورنس كافنديش .. الإبن الثاني لزوجها .

— كلا .. لأن الأب أوصى بأن تؤول أملاكه بعد وفاة الزوجة إلى إبنه الأكبر جون . وأن تؤول ثروته إلى إبنه الثاني لورنس ، ولذلك أوصت مسز انجلثورب بثروتها الخاصة لجون ، لأنها تعلم أنه ورث القصر والمزرعة ويحتاج إلى المال لصيانتهما والانفاق عليهما

— ولكن ما حكم القانون الانكليزي في وصية الأب بعد أن تزوجت أرملته

— هذا ما كنت أهم بايضاحه يا مسيو بوارو .. أن وصية الأب أصبحت لاغية ولا قيمة لها .

- هل كانت مسز انجلثورب نفسها تعرف هذه الحقيقة ؟

— لا أعلم .. ربما كانت تعرفها .

فقال جون بلهجة التأكيد :

— بل انها كانت تعرفها .. ولقد كنا بالأمس فقط نتحدث عن الوصايا التي يبطلها الزواج .

- سؤال أخير يا مستر ويلز .. انك قلت (وصيتها الأخيرة) . فهل كتبت مسز انجلثورب وصايا أخرى سابقة ؟

— كانت تكتب وصية واحدة على الأقل كل عام ، كانت تغير رأيها باستمرار . فتعطي هذا . وتحرم ذاك وفقاً لمزاجها

— هب أنها كتبت وصية جديدة دون علمك ، أوصت فيها بكل ثروتها لشخص ليس من أفراد الأسرة . ولنقل مثلاً أنه مس إيفلين هوارد . فهل

يكون ذلك مفاجأة لك ؟.

— كلا .. بتاتاً .

— آه .

وبذلك انتهت اسئلة بوارو

وبينما كان جون يتحدث الى المحامي بشأن أوراق مسز انجلثروب الخاصة. اقتربت من بوارو وسألته بصوت خافت :

هل تعتقد ان مسز انجلثروب أوصت، بكل ثروتها لايفلين هوارد ؟.

فأجاب وهو يبتسم :

— كلا .

— إذن لماذا سألت ؟.

— صه .

وكان جون قد تحول الى بوارو في هذه اللحظة ليقول له :

— هل تأتي معنا يا مسيو بوارو ؟.. أننا سنفحص أوراق أمي ، وقد ترك مستر انجلثروب هذه المهمة لي ولمستر ويلز . سنبـــدأ الآن بالمكتب الذي في مخدعها ، ثم ننتقل بعد ذلك الى غرفة نومها ، فان هناك حقيبـــة حمراء صغيرة تحتفظ فيها دائماً بأوراقها الهامة .

فقال المحامي :

— وربما يسفر البحث عن وجود وصية جديدة .

فقال بوارو في هدوء :

— توجد وصية جديدة .

فهتف جون والمحامي في آن واحد

— ما تقول ؟.

أقول انه توجد أو على الأصح كانت توجد وصية جديدة .

— وأين هي الآن ؟.

ـ أحرقت .

ـ أحرقت .

ـ نعم .. انظر ..

وأخرج قصاصة الورقة التي التقطها من مدفأة مسز انجلثروب وقدمها الى المحامي وأوضح له بايجاز أين وكيف وجدها .

ـ ولكن ربما كانت وصية قديمة .

ـ لا أظن ذلك .. انها وصية جديدة ارجح انها كتبت بعد ظهر أمس

فهتف الرجلان في وقت واحد :

ـ مستحيل !.

فتحول بوارو الى جون وقال :

ـ إذا سمحت لي باستدعاء البستاني ، فأنني أستطيع ان اثبت لك ذلك .

ـ طبعاً طبعاً . ولكني لا ارى .

فأسكته بوارو باشارة من يده وقال :

ـ افعل كما قلت لي والق بعد ذلك ما شئت من الأسئلة

ـ حسناً .

ودق الجرس فأقبلت دوركاس فقال لها :

دعي مانتج يحضر فوراً فأنني أريد التحدث اليه .

وانتظرنا في جو مشحون بالقلق والترقب الى أن دخل البستاني وهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

كان رجلاً متقدماً في السن ، تنم نظراته عن اليقظة والذكاء .

قال جون يحدثه :

اصغ الي يا مانتج .. سيلقي عليك هذا السيد بعض الاسئلة وأريدك أن تجيب عليها .

فقال البستاني وهو ينظر الى البوليس السري القصير القامة بشيء من الاستهتار

— حسناً يا سيدي .

وتقدم بوارو خطوة الى الأمام وقال وهو يصعد البستاني بعينيه :

— انك غرست بعض شجيرات البيجونيا في الجزء الجنوبي من الحديقة بعد ظهر أمس .. أليس كذلك ؟.

— نعم يا سيدي ، وكان وليم يعمل معي .

ثم أطلت مسز انجلثروب من نافذة غرفتها ونادتك . اليس كذلك ؟.

— نعم يا سيدي ..

— إذن أخبرني بأسلوبك ماذا حدث بعد ذلك ؟

— لم يحدث شيء ذو أهمية . انها طلبت الى وليم ان يمتطي دراجته ويذهب الى القرية لشراء ورقة ذات أوصاف خاصة .. فأحضر الورقة المطلوبة .

— وماذا حدث بعد ذلك ؟.

— لا شيء .. عدنا الى الحديقة .

— ألم تدعكما مرة أخرى ؟.

— نعم . دعتنا مرة أخرى وسمحت لنا بدخول غرفتها وطلبت الينا أن نوقع باسمينا في ذيل الورقة الكبيرة التي أحضرها وليم .. وذلك بعد ان وضعت هي امضاءها عليها ..

— ألم ترَ ما كان مكتوباً في الورقة فوق امضاءها ؟.

— كلا يا سيدي .فقد كانت هناك قطعة من الورق النشاف تحجب الكتابة

— هل وقعت باسمك على الورقة ؟

— نعم يا سيدي ، أنا أولاً ، ثم وليم بعد ذلك .

— وماذا فعلت السيدة بالورقة ؟.

طوتها ودستها في مظروف كبير وضعته في حقيبة حمراء .

— متى حدث ذلك ؟.

— حوالي الساعة الرابعة ..

— هل انت واثق ؟. ألم يكن ذلك حوالي الساعة الثالثة والنصف ؟.
— كلا ، كانت الساعة بعد الرابعة .. لا قبلها .
— شكراً لك يا مانتنج ..
ونظر البستاني الى سيده ، فأمره بالانصراف .. وبعد قليل هتف جون قائلا :
— يا لها من مصادفة !.
— ماذا تعني ؟.
— أليس من المصادفات العجيبة أن تكتب أمي وصية في يوم وفاتها .
فسعل ويلز وقال بجفاء :
— هل أنت واثق من انها مصادفة يا مستر كافنديش ؟.
ماذا تعني ؟.
— ألم تقل لي أن أمك تشاجرت مع شخص ما بعد ظهر أمس ؟
فصاح جون مرة أخرى وقد فر لونه :
— أوضح .. ماذا تعني ؟.
— كانت نتيجة هذه المشاجرة أن اسرعت أمك بكتابة وصية جديدة . ونحن لن نعرف أبداً مضمون هذه الوصية ، لأنها لم تتحدث الى أحد بشأنها ومن المحقق انها كانت تعتزم استطلاع رأيي في أمرها .. ولكن لم تتح لها الفرصة ..
— لقد اختفت الوصية ، ودفن سرها مع صاحبتها ، ولا يمكن أن يكون ذلك من قبيل المصادفة يا مستر كافنديش . ألا ترى مثلي يا مسيو بوارو أن لهذه الحقائق مغزاها الواضح ؟.
فقال جون
— مهما يكن مغزاها فاننا نشكر لمسيو بوارو انه ألقى ضوءاً على موضوع هذه الوصية الجديدة ، ولولاه لما عرفنا شيئاً من أمرها ، هل لي أن أسألك

يا مسيو بوارو عن الأثر أو الآثار التي قادتك الى هذه الحقيقة ؟»

فابتسم بوارو وأجاب :

— هناك شيئان بضع كلمات على مظروف قديم ، وشجيرات بيجونيـــا غرست حديثاً .

وهم جون بأن يلقي مزيداً من الأسئلة لولا أن سمعنا في هذه اللحظة صوت سيارة تقترب ، فنظرنا عبر النافذة ، ورأينا السيارة تقف بالباب ، وصاح جون على الفور :

— ايفلين أ. معذرة يا مستر ويلز .

وخرج مسرعاً ، فنظر الى بوارو مستفسراً فأجبته :

— انها مس ايفلين هوارد .

— آه .. يسرني أنها عادت ..

انهـــا امرأة ذات قلب كبير وعقل راجح .. ولكن الله ضن عليهـــا بالجمال ..

وحذوت حذو جون ، وخرجت لاستقبال ايفلين ، ولم تكد عيناي تلتقيان بعينيها حتى شعرت بوخز الضمير .

لقد سبق انها حذرتني ، فضربت بتحذيرها عرض الأفق وسرعان ما اثبتت الأحداث انها كانت على حق حين عبّرت عن ارتيابها في نيات انجلثروب .. ومن يدري .. فلعلها لو بقيت في (ستايلز) لما حدثت المأساة ، ولما استطاع الرجل أن يتجنب عينها الساهرة .

ولكني شعرت بالارتياح حين شدت على يدي بحرارة ، ورأيت في عينيها نظرة حزن لا نظرة تأنيب .

كان احمرار عينيها يدل على أنها بكت كثيراً .. ولكن حزنها لم يلطف من خشونتها وصراحتها المألوفتين .

قالت :

– لقد تأهبت للقدوم حالما تسلمت البرقية ، كانت السيارة أسرع وسيلة للوصول إلى هنا .

فسألها جون :

– هل تناولت طعام الإفطار يا إيفلين ؟

– كلا !

– ذاك ما ظننته .. إن الطعام على المائدة وسآمرهم بأن يعدوا لك قدحاً من الشاي .. آه .. هوذا مسار بوارو يا إيفلين .. إنه يتعاون معنا .

شدت إيفلين على يد بوارو .. ولكنها نظرت إلى جون بارتياب وسألته :

– ماذا تعني بقولك انه يتعاون معنا ؟.

– أعني انه يتعاون معنا في التحقيق .

– ولماذا التحقيق ؟ ظننتكم قد وضعتموه في السجن ؟

– وضعنا من ؟

– من ؟. الفريد انجلثروب طبعاً .

– حذار يا عزيزتي إيفلين .. ان لورنس يعتقد أن أمي ماتت بأزمة قلبية .

– إنه مغفل .. لقد قلت لكم ان الفريد انجلثروب سيقتلها .. وقد قتلها .

– لا تصرخي هكذا يا إيفلين .. يحسن بنا أن نكتم شكوكنا في الوقت الحاضر على الأقل .. إن جلسة تحقيق أسباب الوفاة ستعقد يوم الجمعة

-- لا بد انكم جننتم .. سوف يلوذ الرجل بالفرار قبل موعد الجلسة .. إنه ليس من الغباء بحيث ينتظر حتى يلتف حبل المشنقة حول عنقه ..

– ماذا تريدينني أن أفعل يا إيفلين ؟ هل أمسك به من عنقه وأقتاده إلى مركز البوليس ؟

– افعل أي شيء يحبط الآثام عن جريمته .

ولم أتمالك من الرثاء لجون فقد أدركت من حديث إيفلين إن إيواءها مع

انجلثروب تحت سقف واحد ، سوف يكون مهمة عسيرة لا قبل له باحتمالها ..
وقد رأيت في قسمات وجهه أنه يشعر بذلك أيضاً ..

ولم يجد جون وسيلة للخلاص إلا الفرار ، فغادر المكان مسرعاً ..

وما أن جلست إيفلين إلى مائدة الطعام حتى قال لها بوارو :

-- أريد أن أسألك يا آنسة .

— سل .

— إني أود الاعتماد على مساعدتك .

— سوف يسرني أن أساعدك في شنق الفريد .. ان شنقه لا يكفي .. ويجب تمزيقه ارباً كما كانوا يفعلون بالمجرمين في القرون الوسطى .

— إذن فنحن نعمل لغاية واحدة . لأني أيضاً أريد شنق المجرم

- الفريد انجلثروب ؟

— هو أو سواه ..

— لا يوجد سواه .. لولا قدومه إلى هذا البيت لما قتلت اميلي المسكينة، لست اعني أنها لم تكن محاطة بالحيتان ولكن الآخرين كانوا ينشدون مالهـا فحسب : وكانت حياتها في أمان ، ثم جاء انجلثروب ، ولم يمض شهران إلا وقتلت ..

— صدقيني يا مس هوارد ، إذا كان انجلثروب هو القاتل فسوف لا يفلت من يدي .. من يدري ولكني أرجوك أن تثقي بي . ان معونتك تهمني كثيراً وسأقول لك السبب ، السبب هو ان عينيك هما العينان الوحيدتان في هـذا البيت الحزين اللتان ذرفتا الدموع حزناً على الفقيدة .

فتنهدت مس هوارد وقالت بصوت أقل خشونة :

ذلك لأني كنت احبها ، كانت أنانية إلى حد ما ، وكانت كريمة جداً .. ولكنها كانت تحرص على أن تذكر الآخرين بفضلها عليهم ، ولذلك لم يحبهـا أحد . اما انا فكان موقفي منها يختلف عن الآخرين ، ولقد اتخذت هـذا

الموقف منذ البداية .. فقلت لها ان مرتبي هو مبلغ كذا ، فلا أريـــد بنساً واحداً أكثر منه ولا أريد هدايا أو ملابس او تذاكر مسرح ..

ولم تفهمني .. وفسرت احترامي لنفسي بأنه عجرفة .. بيــد اني احببتها وسهرت عليها ، إلى أن جاء ذلك الوغد الذلق اللسان فذهب إخـــلاصي ووفائي طوال السنين أدراج الرياح

— اني افهم شعورك يا آنسة . وهو شعور طبيعي ولكنني أرجـو الا تتوهمي اننا نفتقر إلى الإرادة والنشاط لحسم هذه القضية .

واطل جون برأسه في هذه اللحظة ليدعونا إلى غرفة مسز انجلثروب .. وكان هو وويلز قد فرغا لتوهما من فحص اوراق المكتب الذي بالمخدع .

وعندما وصلنا إلى غرفة نوم مسز انجلثورب في الطابق الأول ، سألت بوارو :

— ألا تزال المفاتيح معك يا مسيو بوارو ؟

فقدم بوارو المفاتيح ، وفتح جون البـــاب ودخلنا .. وقصد المحـــامي الى حيث كان المكتب وتبعه جون وهو يقول :

— اعتقد ان امي كانت تحتفظ بأوراقها الهامة في هذه الحقيبة الحمراء .

فأخرج بوارو حزمة المفاتيح من جيبه وقال :

— دعني افتحها ، فقد اغلقتها صباح اليوم على سبيل الاحتياط .

— ولكنها مفتوحة .

— مستحيل !

— انظر ..

ورفع الغطاء فصاح بوارو :

— يا للشيطان !! لقد كان المفتاحان معي طول الوقت .

وأسرع إلى الحقيبة وفحصها وقال :

— لقد فتح القفل عنوة .

وانهالت الأسئلة في وقت واحد :

— ولكن من فتحها ؟

— ولماذا ؟

ومتى ؟ لقد كان باب الغرفة مغلقاً .

وأجاب بوارو على الأسئلة بطريقة شبه آلية ، فقال :

— من ؟. هذا هو السؤال .

— لماذا ؟. ليتني أعلم .

— متى ؟. انني كنت هنا منذ ساعة .. لابد انها فتحت خلال هذه الفترة .

أما باب الغرفة .. فان قفله من النوع العادي .. وربما امكن فتحه بأحد مفاتيح الغرفة الأخرى .

ونظر بعضنا الى بعض في ذهول .. وسار بوارو الى المدفأة .. وراح يعبث ببعض التحف ..

كان يبدو هادئاً في الظاهر ولكني لاحظت ان يديه ترتجفان بشدة .

وأخيراً قال :

— اليكم ما حدث .. كان في هذه الحقيبة دليل ما يثبت التهمة على القاتل .. ورأى القاتل ان من الضروري تدمير هذا الدليل قبل ان يكتشف فجازف بدخول الغرفة .. وكانت مجازفة هائلة ووجد الحقيبة مغلقة فاضطر الى فتحها عنوة .

ان إقدامه على هذه المجازفة دليل على أهمية الشيء الذي كان في الحقيبة .

— ولكن ما هو هذا الشيء ؟.

— لا أعلم .. ربما كان وثيقة ما .. أو كان تلك الورقة التي رأتها دوركاس في يد سيدتها بعد ظهر أمس ..

يا الهي .. ما أشد غبائي .. اذ ما كان يجب أن أترك الحقيبة هنـــا .. والآن لقد اختفى الدليل .. اعدم .. ولكن هل أعدم حقاً ؟. اليس ثمة أمل ؟.

وانطلق من الغرفة كالمجنون ، فتبعته ، ولكني ما ان وصلت الى نهاية السلم حتى كان قد اختفى عن ناظري .

ووقفت ماري كافنديش على درج السلم تشيعه ببصرها .

قالت تحدثني :

ـ ماذا أصاب صديقك العجيب يا مستر هـاستنجز ؟. لقد مر بي كالثور الهائج .

ـ انه منزعج لأمر ما ..

واردت أن أغير مجرى الحديث فسألتها :

ـ هل تقابلا ؟.

ـ من تعني ؟.

ـ مستر انجلثروب ومس هوارد.

ـ هل تظن ان لقاءهما سيؤدي الى كارثة ؟.

ـ الا تظنين ذلك أيضاً ؟.

فأجابت وهي تبتسم في هدوء :

ـ كلا أني أريد ان أشهد ثورة عارمة تنقي الجو .. نحن الآن نفكر ونتكلم قليلاً ..

ـ ان جون يشفق من لقائها .. ويحرص على التفريق بينهما .

ـ آه ، جون !.

وقلبت شفتيها فقلت بحدة :

ـ ان جون انسان طيب .

فنظرت الي في فضول ولشد ما كانت دهشتي حين قالت :

ـ انك مخلص لصديقك وأنا أحبك لذلك .

ـ ألست انت أيضاً صديقي ؟.

ـ اني صديقة سيئة ..

ـ لماذا تقولين ذلك ؟ .

ـ لأن هذه هي الحقيقة . . اني الاطف اصدقائي اليوم وأنسام غداً .

ولست ادري ماذا دفعني لأن أقول العبارة التالية التي تنم عن فساد الذوق .

قلت لها :

ـ ولكنك تلاطفين الدكتور باورشتاين دائماً .

وندمت في الحال على ما قلت . .

ورأيت عضلات وجهها تتصلب ، وخيل اليّ كأن ستاراً من فـ ولاذ قد فصل بينها وبيني .

ودون أن تنطق بكلمة . . دارت على عقبيها ، واخذت ترقى السلم وتركتني المث خجلاً . .

وبعد قليل لحق بي بوارو وقال :

. دعنا نذهب يا صديقي !.

ـ هل فرغت من عملك هنا ؟

ـ نعم . . مؤقتاً ، هل ترافقني الى القرية ؟

ـ حباً وكرامة .

وعندما هممنا بالانصراف ، فتح الباب فجأة ، ودخلت سنثيا ، فأفسح لها بوارو الطريق ، وقال يحدثها :

ـ ارجو المعذرة يا آنسة ، ولكن هل حدث مرة انـك قمت بتحضـير الأدوية لمسز انجلثروب ؟

فاحمر وجه الفتاة واجابت :

ـ كلا !

ـ هل كنت تعدين لها المسحوق المنوم فقط ؟

فازداد احمرار وجهها واجابت

ـ نعم . اعددته لها مرة واحدة فقط .

— ووضعته في هذه العلبة ؟

واخرج من جيبه العلبة الفارغة التي ليس على بطاقتها اسم الصيدليـــة ، فأطرقت برأسها علامة الايجاب .

.. ماذا كان نوع المسحوق .. سلفونال او فيرونال ؟

كلا .. كان مسحوق البروميد !

— شكراً لك يا آنسة ، طاب يومك .

ولما ابتعدنا عن البيت ، نظرت اليه فاذا بعينيه كزمردتين خضراوين ..

كنت قد لاحظت ان عينيه الخضراوين تتألقان كعيني القط كلما انفعل بفكرة او حادث .

قلت له :

— إذن فهذا هو سر العلبة التي لا تحمل إسم الصيدلية ؟ كان يجب ان افطن اليه من تلقاء نفسي .

ولكنه كان مستغرقاً في التفكير فلم يبد عليه انه سمع ما قلت .

واخيراً قال وهو يشير بأصبعه من فوق كتفه في اتجاه القصر .

— لقد عثروا هناك على شيء جديد ذكره لي مستر ويلز ونحن نرقى السلم .

— ما هو ؟

- عثرا في درج المكتب الموجود بالمخدع على وصية لمسز انجلثروب يـدل تاريخها على انها كتبت قبل زواجها الأخير .. وفيها توصي بكل ثروتها وممتلكاتها لألفريد انجلثروب ، ويبدو انها كتبتها في فترة الخطوبة ، وقد كانت الوصية مفاجأة لمستر ويلز ومستر كافنديش ، كانت مكتوبة على احد النماذج المطبوعة وقد شهد عليها اثنان من الخدم .

وهل علم انجلثروب بهذه الوصية ؟

— لا ادري !

— لقد اوقعتنا هذه الوصايا في حيرة شديدة ، ولكن حدثني ، كيف

ادركت من الكلمات المكتوبة على المظروف القديم ان هناك وصية جديدة ؟

ـ ألم يتفق لك وأنت تكتب رسالة انك شككت في طريقة هجاء إحدى الكلمات ؟.

ـ ان ذلك يحدث كثيراً . ولجميع الناس .

ـ حسناً . وهل لم يتفق لك في مثل هذه الحالة انك أخذت في كتابة هذه الكلمة على ورقة خارجية لكي ترى ماذا كانت تبدو صحيحة ؟. ان ذلك هو ما فعلته مسز انجلثروب ، فقد حارت بين كلمتي (املك) و (أمتلك) فتناولت مظروفاً قديماً ، وكتبت عليه الكلمات (كل ما أملك) (كل ما أمتلك) وكررت ذلك مراراً لكي ترى أي العبارتين تتفق مع الاسلوب المألوف في كتابة الوصايا ..

هذه الكلمات بالاضافة الى قصاصة الورق التي وجدتها في المدفأة ، وهي من النوع المتين الازرق اللون الذي تكتب عليه الوصايا ، أوحت الي بأن مسز انجلثروب لا بد قد كتبت وثيقة تتضمن هذه الكلمات ، وأكدت ذلك حقيقة أخرى ، فلقد أغفل الخدم تنظيف البيت صباح اليوم نتيجة للاضطراب الذي ساد بعد المأساة ، فوجدت على أرض المخدع بالقرب من المكتب آثار وحل وتراب ، وقد كان الجو صحواً خلال الأيام الأخيرة فلا يمكن أن تكون الأحذية العادية قد نقلت الوحل الى أرض المخدع ..

وبينما كنت أطل من النافذة ، لاحظت ان شجيرات البيجونيا قد غرست حديثاً ، وان طين الحديقة يشبه في لونه آثار الوحل والتراب التي رأيتها على ارض المخدع ثم فهمت منك ان الشجيرات غرست بعد ظهر امس . فادركت ان احد البستانيين او كليهما قد دخلا المخدع ، ولو قد ارادت مسز انجلثروب ان تتحدث اليهما فقط ، لكان بوسعها ان تطل عليهما من النافذة وتقول لهما ما تريد ، دون ان تسمح لهما بدخول المخدع ..

وهكذا رجحت أن تكون مسز انجلثروب قد كتبت وصية جديدة

ودعت البستانيين الى خدعها للتوقيع على الوصية كشاهدين .

— يجب ان أعترف لك بالبراعة يا مسيو بوارو ، ولكن ثمة سؤال آخر .. كيف عرفت ان مفتاح الحقيبة قد فقد ؟.

— انني لم أعرف ذلك ولكني خمنته ، لقد رأينا المفتاح في قفل الحقيبة ، وعثرنا على حزمة مفاتيح مسز انجلثروب ، فلماذا لم يكن هذا المفتـــاح في الحزمة ؟. واذا كان قد فقد ثم عثر عليـه فلماذا لم ترده مسز انجلثروب الى مكانه في الحزمة ؟.

ولقد وجدت ضمن حزمة المفاتيح مفتاحاً جديداً لامعاً ثبت انه المفتـــاح الاضافي لقفل الحقيبة ، وإذن لا بد ان يكون شخص آخر هو الذي وضع المفتاح القديم في القفل .

— وهذا الشخص الآخر هو الفريد انجلثروب دون شك .

فنظر الى بوارو في دهشة وسأل :

— هل أنت واثق من انه المجرم ؟.

— كل القرائن تثبت ذلك .

— على العكس ، هناك قرائن عديدة في مصلحته .

— انني لا اعرف منها سوى قرينة واحدة .

— وهي ؟

— انه لم يكن في البيت ليلة امس

— ولكن هذه قرينة ضده .

— وكيف ذلك ؟

— لو كان يعلم ان زوجته ستموت ليلة امس ، فن الطبيعي أن يعمل على الاختفاء عن البيت تجنباً للشبهات ، ان اختفاءه يثير احتمالين ، أما انه كان يعلم بما سيحدث ، واما انه كانت لديه اسباب خاصة ادت الى اختفائه .

— وما هي هذه الأسباب الخاصة ؟.

فهز بوارو كتفيه وأجاب ·

-- وكيف أعلم ؟ ربما كانت اسباباً مشينة ، ان الرجل قد يكون وغداً ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة انه قاتل .

فهززت رأسي دلالة على عدم الاقتناع .

فقال بوارو :

-- يبدو اننا لسنا على وفاق ؟. دعنا إذن من هذا الموضوع ، وسوف تثبت الأيام أينا على حق ، ولنتحدث الان عن القضية ، باذا تفسر ظاهرة غلق جميع ابواب غرفة النوم بالمزلاج من الداخل .

ــ يجب ان ننظر الى الموضوع بطريقة منطقية ، ان الأبواب كانت مغلقة من الداخل ، وقد رأينـــا ذلك بعيوننا ، ولكن بقعة الشمع على السجادة ، واحراق الوصية في المدفأة ، يدلان على أن شخصاً دخل الغرفة خلال الليل

ــ كلام واضح ، أتمم حديثك .

ــ ولما كان هذا الشخص لم يدخل من النافذة ، او بمعجزه ، فلا بد انه دخل من الباب وان تكون مسز انجلثروب قد فتحت له الباب لنفسها ، وهذا يدعم اعتقادي بأن هذا الشخص هو الزوج ، فما كانت مسز انجلثروب لتفتح بابها في مثل تلك الساعة الا لزوجها .

فهز بوارو رأسه وقال :

ــ ولماذا تفتح له الباب ؟. انها اوصدت الباب الموصل بين غرفتيهما بالمزلاج، وهذا عمل غير طبيعي من جانبها ، ثم انها تشاجرت معه بعد ظهر ذلك اليوم .. كلا . انه آخر رجل يمكن ان تسمح له بدخول غرفتها

ــ ولكنك توافقني على انها هي التي فتحت الباب بنفسها ؟.

هناك احتمال آخر .. ربما نسيت مسز انجلثروب ان توصد بابها المؤدي الى الدهليز بالمزلاج وذهبت لتنام ثم استيقظت فيما بعد واوصدته .

ــ هل هذا هو رأيك حقاً يا بوارو ؟

كلا . انه مجرد احتمال . والان .. لنتكلم في موضوع آخر ، ماذا تستنتج من العبارات التي سمعتها من الحديث الذي دار بين مسز كافنديش ومسز انجلثروب ؟.

— الواقع انني نسيت كل شيء عن هذا الحديث . انه لغز غامض بالنسبة الي .. وأنا لا أستطيع ان اتصور كيف يمكن لامرأة ذات كبرياء وثقافة كمسز كافنديش ان تقحم نفسها بمثل هذا العنف في أمر لا يعنيها .

تماماً

— ومهما يكن الأمر فانه حديث لا اهمية له ولا ينبغي ان نضعه في عين الاعتبار

فتنهد بوارو وقال :

— ألم أقل لك مراراً وتكراراً ان كل شيء يجب ان يوضع في الاعتبار ؟. اذ لم تتفق الحقيقة مع النظرية .. فلتذهب النظرية الى الشيطان ..

كنا قد وصلنا الى بيت بوارو فصعدنا الى غرفته ، وقدم لي سيجارة روسية من النوع الذي يطيب له احياناً ان يدخنه ..

وجلسنا أمام نافذة تطل على القرية ، ولفحت وجوهنا نسمة دافئة انبأتنا بأننا سنستقبل يوماً شديد الحر .

وفجأة ، وقع بصري على شاب يعبر الطريق بخطى واسعة وقد ارتسمت على وجهه دلائل الهلع فقلت :

— أنظر يا بوارو .

فأطل بوارو من النافذة ورأى الشاب وقال :

انه مستر ميس الصيدلي .. وهو في طريقه الينا ..

والواقع ، ان الشاب توقف امام الباب وتردد قليلاً ثم راح يدق الباب بعنف . فصاح به بوارو :

صبراً لحظة .

وأومأ الي ان اتبعه ، وهبط السلم مسرعاً وفتح الباب وانفجر الشاب على الفور قائلاً :

— معذرة عن الازعاج يا مسيو بوارو .. ولكني علمت انك قد عدت للتو من قصر ستايلز .

— هذا صحيح .

فبلل الشاب شفتيه بلسانه وقال :

— ان في القرية شائعات كثيرة عن وفاة مسز انجلثورب

ثم استطرد قائلاً بصوت خافت :

— انهم يقولون انها ماتت مسمومة .. فهل هذا صحيح ؟.

— هذا امر لا يحسمه الا الأطباء يا مستر ميس .

— طبعاً ... طبعـــاً .. ولكن اخبرني يا مسيو بوارو هل ورد ذكر اسم الأستركنين ؟.

فأجابه بوارو بكلمات لم اسمعها .. وانصرف الشاب وهو اشد اضطراباً مما كان عند قدومه .

واغلق بوارو الباب ، والتقت عيناه بعيني ، فأومأ برأسه علامة للايجاب وقال :

– نعم . سيكون لديه ما يقوله في جلسة التحقيق .

فهممت بأن القي عليه سؤالاً ، ولكنه اسكتني بحركة من يده وقال :

— ليس الآن يا صديقي . ليس الآن . ان ذهني مضطرب .. ويجب ان انظم افكاري .

وجلس في مقعده وظل بضع دقائق لا ينطق بكلمة ولا يبدي حراكاً .. وأخيراً تنهد وقال :

حسناً لقد مرت الدقائق العصيبة واصبحت الآن اصفى ذهناً .. ان حقائق القضية لم تنضج كلها بعد ، ولكن هناك حقيقتان لهما مغزاهما .

— وما هما ؟

— الأولى حالة الطقس أمس .. وهذه مسألة ذات اهمية قصوى .

— ان الطقس كان صحواً أمس ..

— كانت درجة الحرارة كما سجلها الترمومتر أمس ٨٠ في الظل ، وذلك هو مفتاح السر كله ..

— والحقيقة الثانية ؟.

— والحقيقة الهامة الثانية .. هي ان مستر انجلثروب يرتدي ثياباً عجيبة ، وله لحية سوداء ، ويضع على عينيه نظارة .

— هل تهزل يا بوارو ؟.

— انني جاد تماماً .

— هب ان هيئة المحلفين أصدرت قرارها بادانة الفريد انجلثروب . فماذا سيكون مصير نظرياتك ؟.

— ان نظرياتي لن يزعزعها جهل اثني عشر رجلاً تورطوا في الخطأ ، ولكنني واثق من ان المحلفين لن يصدروا مثل هذا القرار ، أولاً لأنهم ريفيون ويخشون مسؤلياته الخطيرة . وثانياً لأن مستر انجلثروب يعد الآن من كبار الملاك في المنطقة .. يضاف الى هذا وذاك انني لن اسمح بأن يصدر مثل هذا القرار .

— لن تسمح ؟.

— اصغ الي يا صديقي .. انني لم أكف طول الوقت عن التفكير في مسز انجلثروب المسكينة .. انها لم تكن محبوبة .. ولكنها كانت كريمة معنا نحن البلجيكيين .. وأنا أشعر بأنني مدين لها ..

فهممت بمقاطعته ولكنه مضى يقول :

- دعني اقل لك شيئاً يا هاستنجر ان مسز انجلثروب ما كانت لتغفر لي لو انني تركت زوجها يعتقل الآن بينما استطيع بكلمة مني ان أنقذه .

الفصل السادس

التحقيق

لم يفتر نشاط بوارو طوال الفترة السابقة لجلسة التحقيق فاجتمع مرتين مع مستر ويلز ، وسار على قدميه مسافات طويلة في الحقول ، وساءني انه لم يذكر لي شيئاً عن تحركاته وأهدافه .

وذات يوم ، ذهبت لزيارته في بيته ولم أجده ، وخطر لي انه ربما ذهب الى مزرعة ريكس للقيام ببعض التحريات ، فسرت بين الحقول على أمل ان القاه ولكني لم أقع له على أثر .

وقررت بعد تردد ، أن اواصل السير الى المزرعة .

وبينما كنت في طريقي اليها ، التقيت بزارع عجوز نظر اليّ بخبث وسألني :

— هل أنت من سكان هذا القصر ؟.

نعم ، وقد جئت للبحث عن صديق اعتقد انه مر من هنا .

هل صديقك رجل قصير القامة من أولئك البلجيكيين الذين يقيمون في القرية ؟.

نعم ، هل رأيته ؟.

— انه جاء الى هنا مراراً . ولكن هل هو صديقك حقاً ؟.

وابتسم ساخراً واستطرد قائلاً :

ـ مـــا أخبثكم يا رجال القصر .. انكم تختلقون مختلف الأعذار للتسلل الى مزارع الآخرين ..

ـ ماذا تعني ؟. هل يأتي الكثيرون رجال القصر الى هنا ؟.

فغمز بعينه وقال :

ـ بل أعني واحداً بعينه .. سخياً غاية السخاء ، ولا ضرورة لذكر اسمه .

وتركت الرجل ومضيت في طريقي .

وإذن فقد كانت إيفلين هوارد على حق !.

وشعرت بالاشمئزاز حين فكرت في الفريد انجلثروب وفي الوجوه الـــتي ينفق فيها أموال زوجته بسخاء .. ولم أتمالك من التساؤل : ترى هل كان لزوجة ريكس الفاتنة دور في الجريمة ؟. أم أن هدفها كان الحصول على المال فحسب ..

* * *

وكانت هناك فكرة تضايق بوارو وتقض مضجعه ... فقد ذكر لي لأكثر من مرة انه يعتقد ان دوركاس أخطأت في تحديد الوقت الذي حدثت فيـــه المشاجرة . ولم يجد بداً من استدعاء الوصيفة لاستجوابها مرة أخرى ..وحاول في حديثه معها أن يقنعها بأن المشاجرة لا بد قد حدثت في الرابعة والنصف لا في الرابعة .. ولكن دروكاس لم تتزحزح عن موقفها .

وعقدت جلسة تحقيق أسباب الوفاة في موعدها المقرر ، وجلست مع بوارو في أحد أركان القاعة لمتابعة ما يجري .

وكان الشاهد الأول هــو جون كافنديش ، فوصف الظروف الـتي اقترنت بوفاة أمه والحالة التي كانت عليها المتوفاة حين استيقظ في الساعة الأولى من الصباح وخف لنجدتها .

ودعى الدكتور باورشتاين للاداء بشهادته . فحبس الحاضرون انفاسهم ، واتجهت جميع الأنظار الى هذا الاخصائي الكبير الذي يعد من أعظم خبراء العصر في العقاقير السامة .

وبعبارات موجزة ، لخص باورشتاين نتيجة التشريح ، وهي تؤكـــد ان الوفاة نتجت عن التسمم بالاستركنين ، وان الكمية التي تناولتها المتوفاة لا تقل عن ثلاثة ارباع الجرام ... وربما تزيد عن الجرام قليلاً .

وسأله المحقق :

ــ ألا يمكن أن تكون قد تناولت السم بطريق الخطأ ؟.

ــ لا أظن ذلك ، فالاستركنين ليس من المواد التي تستخـــدم في أغراض منزلية وقد فرضت قيود على تسويقه .

ــ هل دلت فحوصك على الطريقة التي حدث بها تناول السم ؟

ــ كلا .

ــ انك وصلت الى القصر قبل الدكتور ويلكنز فيما أعتقد ؟.

ــ نعم ، كانت سيارة القصر في طريقها الى الدكتور ويلكنز ، وكنت ماراً بالقصر فأسرعت بالدخول

ــ هل لك أن تروي لنا ما حدث بعد ذلك ؟.

ــ دخلت غرفة مسز انجلثروب ووجدتها في حالة تشنج مخيفة ، فنظرت الي وصاحت الفريد ... الفريد ...

ــ هل من المحتمل أن يكون السم قد وضع في القهوة التي حملها اليها زوجها بعد العشاء ؟.

ــ ربما .. ولكن الاستركنين عقار سريع المفعول تظهر أعراضـــه خلال فترة تتراوح بين ساعة وساعتين من تناوله ويتأخر مفعوله في ظروف معينـــة لم تتوفر في الحالة التي نحن بصددها ، وقد تناولت مسز انجلثروب القهوة بعـــد العشاء حوالي الساعة الثامنـــة . ولم تظهر الاعراض إلا في الساعات الأولى من

الصباح .. مما يدل على ان تناول السم قد حدث بعـــد الساعة الثامنة بوقت طويل ..

ـ لقد اعتادت مسز انجلثروب أن تتناول قدحـاً من الكاكاو في منتصف الليل ، ألا يحتمل ان يكون السم قد وضع في الكاكاو ؟.

ـ كلا .. فقد أخذت عينة من وعاء الكاكاو وقمت بتحليلها ولم يرَ أثراً للاستركنين . ولم اتوقع أن تكون النتيجة غير ذلك لأن الاستركنين عقار شديد المرارة ويمكن تبينه إذا وضع جرام واحد منه في سبعين الف جرام من السوائل والكاكاو ليس من الكثافة بحيث يحجب طعمه ومذاقه مرارة الاستركنين .

ـ إذن انت ترجح ان السم قد وضع في القهوة ولكن تأثيره تأخر لأسباب غير معلومة ؟.

ـ نعم ،ولكن قدح القهوة تهشم تماماً ، فاستحال اخضاع محتوياته للتحليل.

وبذلك انتهت شهادة الدكتور باروشتاين ، وجاء الدكتور ويلكنز فأيـد اقوال زميله ، وعندما أثيرت فكرة الانتحار نفاها تماماً .. وقال ان المتوفاة كانت تعاني من ضعف القلب ولكنها فيما عدا ذلك كانت تتمتع بصحة جيدة كما انها كانت مرحة ومتزنة العقل ، فهي إذن آخر من يمكن ان يفكر في الانتحار

ودعي لورنس كافنديش لأداء الشهادة ، ولم تختلف أقواله عن أقوال أخيه . ولكنه ما ان فرغ من شهادته حتى قال تردد قصير :

ـ هل استطيع الأدلاء برأي خاص ؟.

ـ طبعاً .. طبعاً يا مستر كافنديش ، أن مهمتنـــا هي تقصي الحقائق والترحيب بكل ما يؤدي اليها .

ـ أنها فكرة خاصة طرأت لي وقد أكون مخطئاً .

ولكن يخيل الي ان وفاة امي كانت طبيعية تماماً ..

ـ كيف ..

كانت امي في الفترة الاخيرة تتنـاول عقاقير مقوية تحتوي على مادة

الاسار كنين .

— آه .

واتجهت انظار المحلفين الى لورنس ومضى هذا يقول :

— لقد حدث في كثير من الحالات أن ادت خاصيـة الترسيب في العقاقير التي يتناولها المريض لمدة طويلة الى الوفاة .. ثم الا يحتمل أن تكون أمي قـد تناولت جرعة كبيرة من الدواء بطريق الخطأ ؟.

— هذه أول مرة نسمع فيها أن المتوفاة كانت قبل موتهـا تتناول دواء يشتمل على الاساركنين ، اننا نشكرك على هذه المعلومات يا مستر كافنديش .

ولكن الدكتور ويلكنز سخف الفكرة وقال :

— ان ما قاله مستر كافنديش مستحيل ، صحيح ان الاسار كنين يترسب الى حد ما ولكنه لا يمكن أن يؤدي الى الموت الفجائي على النحو .. ان الترسيب ينتج اعراضاً مرضية تستمر فترة طويلة من الزمن ، وكان لا بد لي أن الاحظها بصفتي طبيب المتوفاة

- والافتراض الثاني ؟.. عن احتمال تناول المتوفاة جرعة كبيرة بطريق الخطأ ؟..

- ان ثلاث أو اربع جرعات لا يمكن أن تؤدي الى الوفاة ... ولا بد ان تتناول المتوفاة محتويات زجاجة كاملة لكي تترسب في أمعائها كمية من الاساركنين كتلك التي أسفر عنها التشريح

— هل يجب إذن ان نستبعد الدواء كسبب لحدوث الوفاة ؟.

- بكل تأكيد .

فسأله أحد المحلفين الا يمكن ان يكون الصيدلي قد أخطأ في تحضير الدواء؟ فأجاب :

— ذلك ممكن طبعاً ...

ولكن دوركاس التي ادلت بشهادتها بعد ذلك نفت هـذا الاحتمال بصفـة

قاطعة إذا قالت ان الدواء قد تم تحضيره منذ وقت طويل وان مسز انجلثروب تناولت آخر جرعة من الزجاجة من وفاتها .

وهكذا استبعد المحقق الدواء كسبب للوفاة ..

وقررت دوركاس انها استيقظت على رنين جرس سيدتها ، ثم ايقظت الآخرين ، وسئلت عن المشاجرة التي سمعت طرفاً منها ، فلم تختلف اجابتها عما سبق ان ذكرته لنا .

ودعيت ماري كافنديش للادلاء بأقوالها ، فوقفت منتصبة القامة مرفوعة الرأس وتكلمت بصوت خافت واضح النبرات . وأجابت على سؤال المحقق فقالت انها استيقظت في الساعة الرابعة والنصف لتباشر عملها في حظيرة الأبقار كالعادة وسمعت فجأة صوت سقوط شيء ثقيل فقال المحقق :

— لا بد كان سقوط المائدة الصغيرة المجاورة للفراش .

واستطردت ماري قائلة :

ففتحت الباب وأصغت السمع .. وبعد لحظة رن احد الأجراس رنيناً عنيفاً واقبلت دوركاس مسرعة وايقظت زوجي ، وانطلقنا جميعاً الى غرفة انجلثروب ووجدنا بابها مغلقاً ..

وهنا قاطعها المحقق قائلاً :

— لا تكلفي نفسك عناء سرد هذه التفصيلات فقد سبق ان سمعناها . وحبذا لو ذكرت لنا ما سمعته من المشاجرة التي حدثت في اليوم السابق ..

— أنا ؟.

وكان في صوتها رنة تحد .. ومدت يدها الى ياقة ثوبها لتصلح من وضعها وادركت على الفور انها تريد كسب بعض الوقت .

قال المحقق .

— نعم ، فقد علمت انك كنت تجلسين على مقعد تحت نافذة المخدع وبيدك كتاب تقرأينه فهل هذا صحيح ؟.

كان هذا النبـــأ جديداً بالنسبة لي ، فنظرت من ركن عيني الى بوارو ولاحظت من قسمات وجهه ان النبأ كان جديداً عليه أيضاً .

وترددت ماري لحظة قصيرة ثم أجابت

ـ نعم ، هذا صحيح .

ـ وكانت نافذة المخدع مفتوحة . أليس كذلك ؟

فشحب وجهها قليلا وأجابت :

ـ نعم .

ـ اذن لا بد انك سمعت ما دار من حديث داخل المخدع وخـــاصة أن الأصوات كانت مرتفعة وغاضبة .. والواقع انهـــا كانت اوضح بالنسبة الى شخص يجلس في البهو .

ـ ربما ؟.

ـ هل لك ان تذكري ما سمعته ؟.

ـ الواقع اني لا أذكر اني سمعت شيئاً .

ـ هل تعنين انك لم تسمعي الأصوات ؟

ـ بل سمعتها .. ولكني لم اتبين الكلمات .. فليس من عادتي الانصات الى المحادثات الخاصة .

ـ الا تذكرين شيئـــا على الاطلاق يا مسز كافنديش ؟. الا تذكرين كلمة شاردة او عبارة مما تحملك على الاعتقاد بأنها محادثة خاصة ؟

فصمتت قليلا كأنما لتفكر .. ولكنها ظلت على هدوئها قالت :

ـ نعم ، اذكر ان مسز انجلثروب قالت شيئاً عن . عن اثارة فضيحة بين زوج وزوجته

ـ آه .. هذا يتفق مع ما سمعته دوراكس ، ولكن معذرة يا مسز كافنديش . على الرغم من انك أدركت انها محادثة خاصة ، فانك لم تحاولي الانتقال من مكانك وظللت حيث كنت .

فرمقته بنظرة خيل الي معها انها لو استطاعت ، لنشبت أظافرها في عنق المحقق ومزقته أرباً .

بيد انها أجابت بهدوء تام :
— لم انتقل من مكاني لأني كنت اشعر بالارتياح فيه ، ولأن تفكيري كان مركزاً على القراءة .
— هل هذا كل ما عندك ؟.
— نعم .
وانتهت أسئلة المحقق ، ولكني كنت واثقة من أنه لم يقتنع ، وإنه كان على يقين من ان ماري كافنديش تعرف أكثر مما قالت .
ودعيت (آمي هيل) من اصحاب الحوانيت في القرية فقررت انها بعدظهر يوم ١٧ الجاري باعت وليم ايرل ، مساعد البستاني في قصر ستايلز انموذجاً مما يستعمل لتحرير الوصايا .

وجاء ايرل ومانتنج ، وقررا انهما وقعا كشاهدين على احدى الوثائق ، وقال مانتنج ان ذلك حدث في نحو الساعة الرابعة والنصف ، بينما قال وليم ايرل ان التوقيع حدث قبل هذا الموعد .
ودعيت سنثيا فقالت انها لم تكن تعرف شيئاً عن المأساة الى ان أيقظتها مسز كافنديش .

فسألها المحقق :
— ألم تسمعي صوت سقوط المائدة ؟.
— كلا .. كنت مستغرقة في النوم ..
فابتسم المحقق وقال :
— الأبرياء ينامون نوماً عميقاً . شكراً لك يا آنسة ..

وجاءت ايفلين هوارد فقدمت الخطاب الذي ارسلته اليها مسز انجلثروب في مساء يوم ١٧ الجاري . وكنت وبوارو نعرف مضمونه ، وفيما يلي نصه :

عزيزي ايفلين

ألا يمكن ان نتناسى خلافاتنا ؟.. لقد كان من العسير علي ان اغفر لك حملاتك على زوجي العزيز ... ولكني عجوز حمقاء ... وأهم من ذلك انني أحبك .

المخلصة

اميلي انجلثروب

وقال المحقق وهو يدفع بالخطاب الى المحلفين .

— هذا الخطاب لا يفيدنا كثيراً إذ لم يرد به شيء عن احداث ذلك اليوم. فقالت ايفلين :

— ولكنه واضح الدلالة على ان صديقتي المسكينة قد اكتشفت أخيراً انها خدعت .

— ان الخطاب لا يتضمن شيئاً بهذا المعنى .

— ذلك لأن أميلي كانت مطبوعة على عدم الاعتراف بخطئها ، انني أعرفها جيداً .. كانت تريدني على ان أعود دون ان تعترف بأنني كنت على حق .. كانت تلف وتدور مثل أكثر الناس ولكني لست من هذا الطراز .

فابتسم المحقق كما ابتسم بعض المحلفين . ويبدو ان ايفلين كانت معروفة ومحبوبة .

قالت :

— وعلى كل حال فانني لا ارى إلا كلاماً .. ومزيداً من الكلام في حين اننا جميعاً نعرف ان ..

وهنا قاطعها المحقق قائلاً بسرعة :

— شكراً لك يا مس هوارد . هذا كل ما هنالك .

وخيل الي انه تنفس بارتياح حين رآها تغادر مقعد الشهود .

ثم حدثت المفاجأة الكبرى حين دعي البرت ميس الصيدلي للادلاء بأقواله.

وكان الشاب ممتقع الوجه بادي الاضطراب وقد أجاب على اسئلة المحقق فقال انه صيدلي مؤهل ، وانه يباشر عمله في الصيدلية منذ وقت قصير بعد ان دعي سلفه لاداء الخدمة العسكرية .

فقال المحقق :

— مستر ميس .. هل بعت مؤخراً كمية من الاستركنين لشخص ليس من حقه الحصول عليه ؟

- نعم يا سيدي ..

— متى كان ذلك ؟.

— في ليلة الاثنين الماضي .

— الاثنين .. لا الثلاثاء ؟.

— كلا يا سيدي .. الاثنين ١٦ الجاري .

هل تستطيع أن تذكر لنا لمن بعت الاستركنين ؟ ولو قد ألقى دبوس في تلك اللحظة لسمع رنينه .

وأجاب الصيدلي :

— نعم يا سيدي . انني بعته لمستر انجلثروب . فتحولت جميع الأنظار الى الفريد انجلثروب الذي جلس كالتمثال لا يبدي حراكاً .

— هل أنت واثق مما قلت ؟.

— كل الوثوق يا سيدي .

— هل تعودت أن تبيع الاستركنين سراً ؟.

فتحرك الشاب التعس في مكانه بقلق وأجاب :

كلا يا سيدي .. ولكني كنت أعلم أن مستر انجلثروب من اصحاب القصر ، وخيل إلي أن لا ضرر من أن أبيعه الاستركنين وقد قال انه يريده للسمم كلب مسعور .

وأخذتني الشفقة بالشاب التعس الذي كان كل ذنبه انه أراد اكتساب زبائن

جداً أغنياء تعودوا التعامل مع صيدليات لندن .

قال المحقق :

- أليس المألوف أن يوقع مشتري العقاقير السامة باسمه في سجل خاص ؟.

— نعم يا سيدي ، وقد وقع مستر الجلثروب باسمه

— وهل أحضرت السجل ؟

— نعم ..

وقدم السجل ، فتناوله المحقق وصرف الشاهد بعد أن عنفه على المخالفة الخطيرة التي تورط فيها ببيعه عقاراً ساماً لمن لا يجوز له الحصول عليه .

ودعي الفريد الجلثروب فتقدم للشهادة وسط صمت عميق . وتساءلت وأنا أنظر اليه ، ترى هل يشعر بأنه قاب قوسين او أدنى من المشنقة ! ..

وتكلم المحقق في الموضوع مباشرة ، وقال :

— هل ابتعت في مساء الاثنين الماضي كمية من الاستركنين لتسميم كلب مسعور ؟..

فأجاب الجلثروب بهدوء تام :

- كلا .. ولا يوجد لدينا سوى كلب واحد لحراسة الأغنام وهو يتمتع بصحة جيدة .

— هل تنكر أنك اشتريت من مستر ميس كمية من الاستركنين في مساء يوم الاثنين الماضي ؟.

— نعم .

— وهل تنكر هذا أيضاً ؟.

وأشار الى توقيعه في السجل ، فأجاب الشاهد :

نعم .. فالخط يختلف تماماً عن خطي .. هو ذا توقيعي .

وأخرج من جيبه ظروفاً قديماً وقع عليه بامضائه وقدمه لهيئة المحلفين .. كان الاختلاف بين التوقيعين واضحاً .

وسأل المحقق :

ـ إذن بماذا تفسر اعتراف مستر ميس ؟.

ـ لا بد انه أخطأ .

فتردد المحقق لحظة ثم قال :

ـ مستر انجلثروب .. هل تستطيع أن تذكر لنا أين كنت في مساء يوم الاثنين ١٦ يوليو ؟.

ـ الواقع أنني لا أذكر .

ـ غير معقول .. فكر جيداً يا مستر انجلثروب .

فهز انجلثروب رأسه وأجاب :

ـ كل ما أذكره انني خرجت للنزهة .

ـ في أي اتجاه سرت ؟.

ـ لا أذكر ..

فقطب المحقق حاجبيه وسأل :

ـ هل كنت بصحبة أحد ؟.

ـ كلا .

ـ هل قابلت أحداً في الطريق ؟.

ـ كلا .

ـ هذا أمر يؤسف له !. هل أفهم من ذلك انك ترفض تحديد المكان الذي كنت فيه في الوقت الذي يؤكد مستر ميس انه رآك وأنت تدخل الصيدلية لشراء الاستركنين ؟.

ـ لك أن تفهم ما تريد ..

ـ حذار يا مستر انجلثروب .

ـ وهنا تحرك بوارو في مقعده بقلق وتمتم قائلا :

ـ تباً له .. هل يريد هذا الغبي أن يلقى القبض عليه ؟.

والواقع ، ان اجابات انجلثروب لم تكن مقنعة على الاطلاق وقد تركت أثراً سيئاً في نفوس المحلفين .

غير ان المحقق مـــا لبث أن انتقل الى النقطة التالية ، فتنفس بوارو الصعداء

قال :

— هل دارت مناقشة حادة بينك وبين زوجتك بعد ظهر يوم الثلاثاء ؟.

— كلا .. لم تدر بيني وبين زوجتي أية مناقشة ، ولم تحدث أية مشاجرة ، والقصة كلها لا أساس من الصحة ، لأنني كنت غائبـــاً عن البيت طوال بعد الظهر .

— هل لديك من يؤيد هذا الكلام ؟.

— حسبتك انني قلت ذلك .

— يوجد شاهدان على استعداد لأن يقررا انهما سمعـــا الحوار بينك وبين زوجتك .

— هذان الشاهدان قد اخطاءا !

فدهشت ..

كان الرجل يتكلم بثقة واطمئنان ، فنظرت الى بوارو ورأيت على شفتيـــه ابتسامة سرور لم افهم معناها .

ترى هل أقتنـــع أخيراً بجريمة انجلثروب ؟.

قال المحقق ·

— مستر انجلثروب انك سمعت هنـــا آخر الكلمات التي نطقت بهـــا زوجتك وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة .. بوسعك أن تجد لها تفسيراً ؟

- طبعاً .. والتفسير بسيط الغاية .. كان النور في الغرفة ضعيفاً .. ولما كان الدكتور باوِرشتاين يشبهني طولاً وقواماً وله لحية كلحيتي ، فقـــد ظنت زوجتي المسكينة انها تراني ، فهتفت باسمي .

فغمغم بوارو قائلاً :

يا له من تعليل !.

فسألته هامساً :

– أهو الحقيقة ؟

لم أقل انه الحقيقة .. انما قلت انه تعليل بارع !..

واستطرد انجلثروب قائلاً :

– انك تنظر الى كلمات زوجتي الأخيرة على انها اتهام .. ولكنها في الواقع كانت استغاثة كانت المسكينة تستغيث بي مما تعاني .

ففكر المحقق قليلاً ثم قال :

– المفهوم انك في ليلة المأساة قد صببت القهوة في قدح زوجتك ثم حملته اليها .

– انني صببت القهوة في القدح حقاً . ولكني لم أحمله اليها . كان في نيتي أن افعل ذلك ولكن قيل لي أن صديقاً ينتظرني بالباب ، فوضعت القدح على مائدة في البهو وخرجت .. وعندما عدت الى البهو بعد بضع دقائق لم أجد القدح ..

قد يكون هذا الكلام هو الحقيقة وقد لا يكون .. ولكنه لا يؤثر على مركز انجلثروب ولا يعفيه من الاتهام ، فقد كان لديه الوقت الكافي في كلتا الحالتين لكي يضع السم في القهوة .

ولفت بوارو نظري في هذه اللحظة الى رجلين يجلسان على مقربة من باب القاعة ، أحدهما قصير القامة اسمر البشرة والثاني طويل أشقر .

ونظرت الى بوارو متسائلاً فادنى فمه من أذني وهمس قائلاً :

– هل تعرف من الرجل القصير القامة ؟.

فهززت رأسي سلباً .

قال

انه جيمس جاب مفتش البوليس باسكتلنديرد. وزميله من اسكتلنديارد أيضاً . ان الأمور تسير بسرعة مذهلة أيها الصديق .

نظرت الى الرجلين ، ولم أرَ في مظهرهما ما يدل على انهما من رجال الشرطة أو حتى من الرسميين .

وكنت لا أزال أرقبهما حين سمعت المحقق يصدر قراره بأن (الوفاة جنائية والفاعل مجهول) .

الفصل السابع

بوارو يسدد دينه

ما أن غادرنا قاعة الجلسة حتى ضغط بوارو على ساعدي بلطف وانتحى بي جانباً فأدركت انه ينتظر رجلي اسكتلنديارد .

وخرج الرجلان بعد لحظات فتقدم بوارو من اقصرهما قامة وهو يقول :

ــ لعلك لا تذكرني أيها المفتش جاب .

ــ آه .. مسيو بوارو .

والتفت الى زميله واستطرد قائلاً :

ــ هل سمعت أحاديثي عن مسيو بوارو ؟. أننا عملنا معاً في قضيـــة ابركوب .. ذلك المزور الخطير الذي قبضنا عليه في بروكسل .. وهل تذكر (البارون التارا) ؟. انه راوغ بوليس أوروبا كلها .. ولكننا قبضنا عليه في (انتويرب) بفضل مسيو بوارو

وقدمني بوارو الى جاب،وقدمنا هذا بدوره الى زميله المفتش (سمرهاي).

فقال بوارو :

ــ اظن انني لست بحاجة لأن اسألكما عما تفعلانه هنا .

ــ كلا طبعاً ، والقضية واضحة كالشمس كما ترى .

ــ اسمح لي أن اخالفك في ذلك .

ـــ فقال سمرهاي :

ـــ كيف ؟. ان الرجل متورط الى اذنيه .. ومن عجب أن يكون مغفلاً الى هذا الحد .

فقال جاب :

-- مهلا يا سمر هاي .. انني عملت مع مسيو بوارو قبل الآن .. إذا كان هناك رجل احترم رأيه ، فهذا الرجل هو بوارو ، ويخيل الي اذا لم أكن مخطئاً ، انه يعرف عن هذه القضية أكثر مما نعرف .

فابتسم بوارو وقال :

ـــ الواقع انني عاصرت القضية منذ بدايتها، وقد توصلت الى بعض النتائج

فقال جاب

ـــ أما نحن فاننا لا نعرف عنها اكثر مما سمعناه في جلسة لتحقيق . وواضح مما سمعناه ان انجلثروب قتل زوجته .

واني أعجب لماذا لم يوجه اليه المحقق تهمة القتل ويأمر باعتقاله فوراً .

فقال بوارو :

ـــ يخيل إلي أن في جيبك امراً بالاعتقال .

فأجاب جاب وعلى شفتيه ابتسامة غامضة .

ـــ ربما

ـــ يهمني ايها السادة الا يعتقل انجلثروب في الوقت الحاضر .

فقال سمرهاي ساخراً .

ـــ أحقاً ؟..

وقال جاب :

ألا تستطيع الاشارة الى الاسباب ولو تلميحاً يا مسيو بوارو ؟. أنت تعلم ان سكتلنديرد يهمها كثيراً الا تتورط في خطأ .

ـــ هذا ما ظننته . انك إذا اعتقلته فسوف تجد نفسك في مأزق . لأن

التهمة ستسقط عنه فوراً .

فقال جاب وهو يجفف عرقه .

— انني أصدقك يا مسيو بوارو .. ولكن هنـــاك رؤساء سوف يسألونني لماذا لم أعتقله ، فهلا أوضحت قليلا ؟.

— حسناً ، كنت اود أن اخفي اوراقي في الوقت الحاضر على الاقـــل ، ولكنك على حق فيما قلت .. هل ستذهبان فوراً الى قصر ستايلز ؟ .

— سنكون هناك بعد نصف ساعة .. يجب أن نقابل المحقق والطبيب أولا ..

— حسناً .. سأنتظركما في بيتي .. انه اخر بيت القرية .. سأذهب معكما الى قصر ستايلز .. وإذا رفض انجلثروب الكلام ، وذلك ما أرجحه ، فأنني سأقدم لكما من الادلة ما يقنعكما بأن اتهامه لا يقوم على أساس .. اتفقنا ؟

- اتفقنا ..

وانصرف الرجلان . وهتف بوارو قائلا دون ان يترك لي فرصة الكلام.

— ما رأيك أيها الصديق ؟.. لقد مرت بي لحظات رهيبة خلال التحقيق ، ولم اكن اتصور ان ذلك الغبي سيرفض الكلام بهذا الاصرار .

— قد يكون هناك سبب اخر غير الغباء . هب انه مذنب .. فهل هنـاك وسيلة يدافع بها عن نفسه غير الصمت ؟

— هناك الف وسيلة .. وكل منها أفضل من الصمت والانكار

— ولكن إذا كنت واثقاً من براءته الى هـذا الحـد ، فبماذا تفسر شراءه للاستركنين ؟.

- التفسير بسيط للغاية . انه لم يشتره .

— ولكن ميس قد تعرف عليه !

— معذرة .. ان ميس لم يتعرف عليه . انه رأى رجلا ذا لحية كلحيـة انجلثروب .. ويضع على عينيه نظارة كنظارة انجلثروب . ويرتدي ثيابـاً

تلفت النظر كثياب انجلثروب .. ولكن لم يكن بوسعه أن يتعرف على رجل رآه من بعيد مرة او مرتين .. ولا تنس ان ميس لم يحضر للعمل في صيدلية القرية إلا منذ اسبوعين . وان مسر انجلثروب كانت تتعامل اصلاً مع صيدليات تادمنستر ولندن .

— هل تعتقد إذن ان ؟.

— هل تذكر يا صديقي النقطتين اللتين اكدت عليهما .. دع الآن النقطة الأولى .. فماذا كانت النقطة الثانية ؟..

— ان انجلثروب يرتدي ملابس خاصة تلفت النظر وان له لحية سوداء ويضع على عينيه نظارة .

— تماماً . والآن هب ان شخصاً أراد أن يتنكر في شكل جون او لورنس كافنديش فهل من السهل عليه ان يفعل ذلك ؟.

— كلا .. اللهم إلا إذا كان ممثلا ..

— سأقول لك لماذا ليس من السهل التنكر في شكلهما . لأنهما حليقاً لوجه، ومن يتنكر في شكلهما في وضح النهار ينبغي أن يكون ممثلا موهوباً .. وان تكون له ملامح كملامحهما . أما في حالة انجلثروب فان الأمر لا يتطلب سوى لحية سوداء وثياباً كثيابه ونظارة تخفي عينيه .

والآن .. ماذا يهم المجرم قبل كل شيء ؟ ان يبعد الشبهة عن نفسه . أليس كذلك ؟.. وما هي أفضل وسيلة لذلك ؟.

افضل وسيلة هي ان يحول الشبهة الى شخص اخر .. وفي حالتنا هذه كان الشخص الآخر موجوداً .. ان الجميع يرتابون في انجلثروب . وأصابع الاتهام كلها تشير اليه ، ولتوكيد التهمة .. يجب أن يكون هناك دليل قاطع . وهل ثمة دليل أقطع من شراء السم ؟..

ولكن إذا صح ذلك ، فلماذا لم يذكر انجلثروب أين كان في الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين .

نعم .. لماذا ؟ . انه قد يتكلم إذا قبض عليه ، ولكني لا أريد أن يصل الأمر الى هذا الحد ، وسأحاول أن اقنعه بخطورة موقفه .. ان وراء صمته أسباباً مريبة .. فهو ربما لم يقتل زوجته ، ولكن من المحقق انه وغد .

وكنا قد وصلنا الى غرفة بوارو ، فاستأنف الحديث قائلا :

– لندع انجلثروب جانباً الآن . ما رأيك فيما حدث في جلسة التحقيق ؟

فانصرف ذهني على الفور الى ماري كافنديش .. ولكني تعمدت المراوغة وأجبت :

– ماذا تعني ؟..

– أعني شهادة لورنس كافنديش مثلا .. اليس مما يبعث على الدهشة قوله ان الوفاة حدثت بالقضاء والقدر نتيجة للدواء الذي كانت امه تتعاطاه ؟.

– كلا . اطلاقاً .. لقد عبر عن رأيه كشخص عادي .

– ولكن لورنس ليس شخصاً عادياً ، ألم تقل لي انه درس الطب وتخرج طبيباً ؟..

– الواقع انني نسيت ذلك .

– لقد كان سلوكه غريباً منذ البداية ، كان هو الوحيد دون سكان القصر جميعاً الذي كان في استطاعته معرفة أعراض التسمم بالاستركنين ، ولكنه رغم ذلك كان أشد المتحمسين لنظرية الوفاة الطبيعية .. اليست هذه ظاهرة تستحق التفكير أيها الصديق ؟.

– ان الأمر محير حقاً .

– ثم هناك مسز ماري كافنديش .. انها لم تقل كل ما تعرفه .. ما رأيك في موقفها ؟.

– انني لم أفهمه .. ليس من المعقول انها تريد التستر على انجلثروب .ولكن موقفها يوحي بأنها تتستر عليه .

نعم .. انه لموقف غريب حقاً .. شيء واحد مؤكد . هو انها سمعت من

تلك (المحادثة الخاصة) أكثر مما ادلت به ، ولكن شهادتهـــا أثبتت انني اخطأت وان دوركاس كانت على صواب حين اكدت أن المشاجرة حـــدثت حوالي الساعة الرابعة مساء .

فنظرت اليه في دهشة لأنني لم أفهم قط معنى اهتمامه بهذه النقطة

— نعم ، لقد ظهرت أشياء كثيرة عجيبـــة خلال التحقيق ، اليـك مثلا الدكتور باورشتاين ، ماذا كان يفعل في تلك الساعة المبكرة من الصباح ؟. من عجب أن احداً لم يعقب على هذه الحقيقة .

— لعله أصيب بأرق

— هذا تفسير وجيه جيداً .. أو رديء جداً ، انه يبرر كل شيء ولا يوضح شيئاً .. ولعل من الأفضل ان نضع هذا الطبيب البارع تحت رقابتنا .

— هل لديك ملاحظات أخرى على التحقيق ؟.

— إذا وجدت أحداً لا يقول الصدق فأحذره ، وانطباعي عن التحقيق ان واحداً أو اثنين فقط قد تكلما بصراحة وصدق .

— لا شك ان لورنس وماري كافنديش ليسا من هؤلاء.. ولكن هناك جون ومس هوارد .. اعتقد انها قالا الصدق ..

— اتعتقد ذلك حقاً ؟

— لقد كانت مس هوارد دائماً صادقة وصريحة ..

فرمقني بوارو بنظرة غريبة .. وهم بأن يقول شيئاً ثم امسك .

قلت له :

— وهناك سنثيا ، انها مثال للبراءة والوضوح ..

هذا صحيح.. ولكن الغريب انها لم تسمع شيئاً رغم انها تقيم فيالغرفة المجاورة لمسز انجلثروب .. وفي حين ان ماري كافنديش ، التي تقيم في الجناح الآخر ، قد سمعت صوت سقوط المائدة بوضوح تام .

ان سنثيا في شرخ الشباب ، وتنام نوماً عميقاً .

وفي هذه اللحظة طرق الباب الخارجي فاختطف بوارو قبعته ،وقتل شاربه وهبط السلم مسرعاً فتبعته ، وكان رجلا سكتلنديرد في انتظارنا فانطلقنا جميعا في الطريق الى قصر ستايلز

وكان قدوم رجلي الشرطة صدمة لأهل القصر ، ولكنها صدمة فتحت عيونهم على خطورة الموقف ..

ودار حديث هامس بين بوارو وجاب، طلب هذا الأخير على أثره الى أهل القصر ، فيما عدا الخدم ، الاجتماع في قاعة الاستقبال .

واعتقد أن الجميع دهشوا حين وقف بوارو ، وليس أحـــد الشرطيين ، وأستهل الحديث .

قال بعد أن أحنى قامته تحية للحاضرين كما يفعل المحاضر حين يهم بالقـاء محاضرته .

— سيداتي وسادتي . لقد طلبت حضوركم جميعاً الى هذا المكان لأمر معين يتصل بمسز انجلثروب

وكان انجلثروب قد جلس بمعزل عن الآخرين فرفع رأسه ونظر الى بوارو، فقال هذا الأخير :

ان ظلا قاتماً يخيم على هذا البيت .. هو ظل جريمة القتل التي ذهبت ضحيتها مسز انجلثروب .

فهز انجلثروب رأسه وتمتم قائلا :

— مسكينة اميلي !

فقال بوارو يحدثه :

— أنت أيضاً مسكين يا مستر انجلثروب . لأن موقفك دقيق للغاية .

ماذا تعني ؟.

أعني أنك متهم بتسميم زوجتك

— يا إلهي ! أنا أسمم اميلي ؟

— انك لا تدرك كم كان موقفك في التحقيق مدمراً لك ، وأنت الآن تعرف خطورة الاتهام الموجه اليك .. فهل ما زلت مصراً على الامتناع عن تحديد المكان الذي كنت فيه في الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين ؟

فتأه انجلثروب ودفن وجهه بين كفيه .

واقترب منه بوارو مهدداً :

— تكلم .

فرفع انجلثروب يديه عن وجهه ببطء ، وهز رأسه ، فصاح بوارو :

— أترفض الكلام ؟.

— لا أظن أن هناك انساناً من الوحشية بحيث يتهمني بمثل ما ذكرت .

فقال بوارو بحزم :

— حسناً .. سأتكلم نيابة عنك .

- كيف ؟ أنك لا تعرف شيئاً .

فتحول بوارو إلينا وقال .

— سيداتي وسادتي . اسمحوا لي بأن اؤكد لكم أن الشخص الذي ذهب الى الصيدلية وابتاع الاستركنين في الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين لم يكن مستر انجلثروب .. لأن مستر انجلثروب كان في الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم يرافق مسز ريكس الى بيتها في المزرعة المجاورة ، وفي استطاعتي أن أقدم خمسة شهود على الأقل على استعداد لأن يقسموا بأنهم رأوهما معاً في الساعة السادسة وما بعدها على طول الطريق المؤدي الى المزرعة والذي يبلغ زهاء ثلاثة كيلو مترات .

الفصل الثامن

الشكوك

وساد صمت مشوب بالذهول ، وكان المفتش جاب أقل الجميع دهشة فقطع حبل الصمت بقوله :

– هل أنت مطمئن الى اولئك الشهود يا بوارو ؟.

- اليك قائمة باسمائهم وعناوينهم .. ولك أن تستجوبهم بنفسك ولكني أؤكد لك أنهم شهود شرفاء .

– أنا واثق من ذلك ، ويجب أن أشكرك لأنك جنبتنا الوقوع في ورطة .

ثم التفت الى انجلثروب وقال :

– معذرة يا سيدي .. ولكن لماذا لم تقل ذلك في التحقيق ؟

فقال بوارو :

– سأقول لك لماذا .. كانت هناك شائعة بأن ..

فصاح انجلثروب قائلاً بصوت متهدج :

– انها شائعة خبيثة لا تنهض على أي أساس .

فقال بوارو :

– لم يشأ مستر انجلثروب اثارة أية فضيحـــة في هذا الوقت بالذات .. بينما جثة زوجته لم توار التراب بعد

فقال جاب محدثاً انجلثروب

لو انني مكانك يا سيدي لآثرت الفضيحة على الاعتقال ، ولو استطاعت زوجتك المسكينة الكلام لقالت ذلك أيضاً ، لقد كان اعتقالك أمراً مؤكداً . لولا تدخل مسيو بوارو

فتمتم انجلثروب قائلاً

ـ انك لا تعلم يا سيدي المفتش كيف كنت هدفاً للتشهير والاضطهاد ..

ونظر من ركن عينه الى ايفيلين هوارد .

فقال جاب :

ـ والآن يا سيدي . أريد أن القي نظرة على غرفة زوجتـــك ، ومن ثم التحدث قليلاً مع الخدم ، لا تشغـــل نفسك بي يا مستر انجلثروب .. سيرشدني مسيو بوارو الى الطريق

وغادر المفتشان الغرفة ، وأشار الى بوارو أن اتبعه ، وما أن توسطنا درج السلم حتى انتحى بي جانباً وقال في همس :

ـ أسرع الى الجناح الأيمن وقف في الدهليز بجوار الباب الزجاجي الذي يتوسطه ولا تتحرك من مكانك حتى الحق بك ..

وتركني ومضى مع الشرطيين ، وأطعت تعلياته ، ووقفت بجوار البـــاب الزجاجي وأنا اتساءل ترى ما هدفه ؟ .

وخطر لي خاطر .

كانت جميع الغرف ، باستثناء غرفة سنثيا ، تقع في الجناح الأيمن ، فهـــل لذلك صلة بما يهدف اليه بوارو ؟. وهل أرادني بوارو على أن ارصد حركات الرائحين والغادين ؟

مهما يكن من أمر فقد لزمت مكاني، ومرت الدقائق ولم أرَ أحداً ولم يحدث شيء ..

وبعد نحو عشرين دقيقة ، لحق بي بوارو وسألني :

– هل بارحت مكانك ؟

– كلا .. ولم يحدث شيء .

– اه . ولكن لعلك سمعت شيئاً ؟.

– كلا .

– ايكن هذا ؟.. اه . كم أنا حانق على نفسي ! . انني حريص دائمـاً ولكني لا ادري ماذا دهاني !.. لقد أفلتت من يدي اليسرى حركة فسقطت المائدة المجاورة للفراش

وبدا الضيق على وجهه فقلت :

– وما أهمية ذلك ؟. لا شك انك كنت منفعلاً بعد النصر الذي سجلته بتبرئة انجلثروب !.. وبهذه المناسبة . لا بد ان الصلة بين انجلثروب ومستر ريكس أوثق مما ظننا ، وإلا ما أصر على الصمت على هذا النحو .

ماذا ستفعل الآن ؟ وأين ذهب الشرطيان ؟

أنهما انطلقا لاستجواب الخدم .. ولكن (جاب خيب رأيي فيه .. انـه يعمل بلا تخطيط .

وكنت أطل من النافذة فهتفت :

– هو ذا الدكتور باورشتاين .. اني امقته بالغريزة .

- انه رجل ماهر ! .

– كم سررت حين رأيته ملطخاً بالوحل .

ورويت لبوارو قصة سقوطه في المستنقع .. وكيف كان منظره حين جاء الى القصر في مساء الثلاثاء وهو أشبه بتمثال من طين .

فأمسك بوارو بكتفي وصاح وهو يهزني بعنف :

– تقول انه جاء الى هنا في مساء الثلاثاء ؟. لماذا لم تذكر لي ذلك من قبل لماذا ؟.. لماذا ؟..

لم أتصور ان لقدومه أية اهمية ؟.

ـ ان له كل الاهمية .. هل نسيت انه جـــاء مرة اخرى عقب اكتشاف الحادث ؟.. ان ذلك يغير كل شيء .

وأرخى قبضته عن كتفي ، وراح يذرع ارض المكان ويتمتم ·

ـ نعم .. ذلك يغير كل شيء .

وتوقف عن السير فجأة ، وصاح :

ـ يجب ان نعمل فوراً ، اين مستر كافنديش ؟.

وكان جون في قاعة التدخين ، فذهب اليه بوارو وابتدره بقوله :

ـ لدي عمل هام في تادمنستر يا مستر كافنديش ، فهل تعيرني سيارتك ؟.

ـ طبعاً .. هل تريدها الآن ؟.

ـ طبعاً .. إذا تفضلت

وبعد دقائق ، كانت السيارة تنهب بنا الأرض في الطريق الى (تادمنستر).

قلت له :

ـ هل لك أن تخبرني ما معنى كل هذا ؟.

ـ يجب ان تعمل فكرك يا صديقي .. انت تعلم ان استبعاد انجلثروب قد غير الموقف ، واننا الآن نواجه مشكلة جديدة تماماً . اننا نعلم الآن ان هناك شخصاً واحداً لم يشتر السم ، ولكن ماذا عن الآخرين ؟. أي واحـد من أهل القصر ، باستثناء ماري كافنديش التي كانت تلعب التنس معك في ذلك الوقت ، يحتمل ان يكون قد تنكر في زي انجلثروب وابتـاع السم . ثم ان هناك ما قرره انجلثروب في التحقيق من انه ترك قدح القهوة في البهو ..وذلك أمر له مغزاه .. إذ يجب علينا الآن ان نعرف من مر بالبهو اثناء وجود القدح هناك ومن حمل القدح الى مسز انجلثروب .. لقد فهمت من روايتك أن هناك شخصين فقط نستطيع الجزم بأنهما لم يقتربا من القدح ، وهـذان الشخصان هما ماري كافنديش والآنسة سنثيا .

ـ هذا صحيح .

ـ انني اضطررت ، لكي أبرىء انجلثروب ، الى الكشف عن اوراقي قبل الموعد المناسب كان القاتل مطمئناً الى ان هناك منها اخر يحظى باهتمامنا ، أما الآن فانه سيضاعف حذره ويعمـــل بحرص شديد . ولكن حدثني عن رأيك الشخصي يا هاستنجز ، هل تتهم أحداً بعينه ..

فترددت ، والواقع انه كانت هناك فكرة عبرت بذهني مراراً في ذلـك الصباح ولكني استبعدتها لغرابتها .. ولأنني لم أجد ما يؤيدها

قلت له :

ـ ان لدي شكاً ولكنه لا يرقى الى مرتبة الاتهام .

ـ انني أشك في ايفلين هوارد وأعتقد انها لم تقل كل ما تعلم .

ـ إيفلين هوارد ؟.

ـ نعم .. لا تسخر مني .

ـ ولماذا اسخر منك ؟.

ـ انني لا أتمالك من الاحساس بأننا اسقطناها من عداد المشتبه فيهم لمجرد انها لم تكن في (ستايلز) وقت وقوع الجريمة . في حين ان المدينة التي تعمل بها تقع على مسافة خمسة عشر ميلا فقط ويمكن للسيارة أن تقطعها في أقل من نصف ساعة .. فهل بوسعنا ان نقطع بأنها كانت بعيدة من ستايلز في ليلة الجريمة ؟..

ـ نعم يا صديقي ، فقد كان من أول أعمالي حين اضطلعت بهذه القضية انني اتصلت بالمستشفى الذي تعمل به وتحققت من انها قضت نهار الثلاثاء وشطراً كبيراً من الليل في العمل به ..

ـ الواقع . ان نقمتها العجيبة على انجلثروب هي ما حملني على الارتياب بها ، انها على استعداد لأن تفعل أي شيء للنكاية به ، ولا يبعد أن تكون هي التي أحرقت الوصية الجديدة ، ظناً منها انها الوصية التي كتبتها مسز انجلثروب

لصالحه .

— هل ترى ان نقمتها عليه غير طبيعية ؟

انها من العنف بحيث أكاد أشك في صحة قواها العقلية ..

— انك على حق في امر واحد ، هو اننا يجب ان ذ تاب في كل انسان-حتى تثبت لنا براءته ، ولكن ما هي الاسباب التي تمنع مس هوارد نفسها من تسميم مسز انجلثروب ؟.

— أنها كانت تتفانى في الاخلاص لها .

— أراك تجادل بمنطق الأطفال .. لأنه إذا كان في استطاعة مس هـوارد أن تقتل مسز انجلثروب ، فانها تستطيـع كذلك ان تتظاهر بالاخلاص والولاء لها .. كلا .. كلا .. يا صديقي .. يجب ان تبحث عن سبب آخر . والواقع ان هناك سبباً جوهرياً .

- ما هو ؟.

— هو ان موت مسز انجلثروب لا يفيد مس هوارد بأي حال ..

— ألا يحتمل ان تكون مسز انجلثروب قد كتبت وصية لصالحها ؟.

فهز بوارو رأسه علامة النفي ، فقلت :

- ولكنك الحت الي ذلك ذات مرة .

— انني فعلت ذلك لسبب ، كنت اعني وقتئذ شخصاً لم أشأ ذكر اسمه .. وكان مركز ذلك الشخص يماثل مركز من هوارد تماماً .

— وتلك الوصية الجديدة التي كتبتها مسز انجلثروب في يوم وفاتها ؟..

— كلا يا صديقي، ان لدي فكرة خاصة عن هذه الوصية ولكني استطيع ان اؤكد لك انها لم تكن لصالح مس هوارد ..

وكنا قد وصلنا الى (تادمنستر) ، فأوقف بوارو السيارة أمام (معمـل للتحاليل) ، وغاب داخل المعمل بضع دقائق وقال عندما عاد :

— لقد انتهيت من مهمتي .

ــ ماذا فعلت ؟

تركت شيئاً للتحليل .

ماذا تركت ؟.

قطرة من الكاكاو من أناء كان في غرفة نوم مسز انجلثروب ..

ولكن الدكتور باورشتاين قام فعلا بتحليل الكاكاو ثم انك أنت نفسك قد سخرت من فكرة وجود الاستركنين في الكاكاو .

ــ أعلم كل ذلك . ولكني أريد تحليله مرة أخرى .

وعبثا حاولت استدراجه الى مزيد من الايضاح .

وشيعت جنازة مسز انجلثروب في اليوم التالي .

وفي اليوم الذي يليه .. كنت في طريقي الى قاعة الطعام لتناول الافطار فانتحى بي جون جانباً وقال لي ان الفريد انجلثروب قرر مغادرة القصر في ذلك اليوم وانه سيقيم في حانة القرية ريثما يضع خطة للمستقبل .

واستطرد قائلا :

ــ لقد اغتبطنا لرحيله ، ولكننا لا نتمالك من الشعور بوخز الضمير لأننا اسأنا معاملته .. صحيح انه كان لنا كل العذر لأن اصابع الاتهام كانت كلها تشير اليه . ولكن ذلك لا ينفي اننا كنا على خطأ وأننا يجب الآن أن نكفر عن خطئنا ، وذلك ما لا سبيل اليه . لأننا لا نحبه ولم نحبه قط .. على انه كان من الكياسة بحيث قرر من تلقاء نفسه أن يرحل . ومن حسن الحظ أن هذا القصر لم يكن ملكاً لأمي لكي توصي به له . انني لا أطيق أن اتصور هذا الرجل متربعاً فيه ..

فسألته :

- هل سيكون في استطاعتك الحفاظ عليه والاضطلاع بنفقاته ؟

ــ نعم .. نعم .. هناك ضريبة الميراث بطبيعة الحال ولكني سأرث نصف ثروة أمي ، وسيقيم لورنس معنا وسيرث النصف الآخر .

ستعاني بعض الضيق في البداية لأنني كما قلت لك مثقــل بالديون . ولكني أعتقد ان الدائنين سيوافقون الآن على الانتظار .

وقد كانت جلستنا حول مائدة الافطار في ذلك الصباح من أبهــج الجلسات منذ يوم المأساة .. كانت البسمات تملو وجوه الجميع فيما عــدا لورنس ، الذي ظل على وجومه و كآبته . ولكن الجو بصفة عامة ، كان جو مرح وتطلع الى مستقبل جديد مليء بالأمل والسعادة .

وكانت الحرب قد هدأت مؤقتاً ، فنشطت الصحف لتغطية الأنباء المحلية ، وامتلأت اعمدتها بتفصيلات المأساة وصور أفراد الأسرة حتى أصبح (حادث ستايلز الغامض) على كل لسان ..

وظل الصحفيون وقتاً طويلاً يحاصرون القصر ويتعقبون أفراد الأسرة .. ويتسقطون الأنباء من الخدم وأهل القرية .

كذلك استباح المفتش جاب وزميله القصر فهما يدخلان ويخرجان ، ويفتشان ويسألان .. ولكن بلا نتيجة .. حتى أصبح مرجحاً ان تحفظ القضية وتقيد الجريمة ضد مجهول ..

* * *

وذات يوم .. سألتني دوركاس في همس :

— هل ستقابل صديقك البلجيكي اليوم يا سيدي ؟.

— نعم .. لماذا ؟.

— لعلك تذكر انه ألح مرة بالسؤال عن ثوب أخضر .

— نعم .. هل وجدته ؟.

— كلا .. ولكني تذكرت ان هناك صندوقاً في غرفة بالسطح ، يحتــوي على ملابس كثيرة ، كانوا يستخدمونها في الحفلات التنكرية .. وقد يجد صديقك في هذا الصندوق ضالته .

– شكراً يا دوركاس . أعدك بأن أخبره .

وقصدت الى القرية لأخبر بوارو . ولكني قابلته في الطريق فنقلت اليه رسالة دوركاس ، وعدنا ادراجنا الى القصر وتسللنا الى الغرفة التي ذكرتها دوركاس ، ووجدنا الصندوق فعلاً .. وشرع بوارو في اخراج محتوياته والقائها على ارض الغرفة ..

كانت كلها ثياباً قديمة للرجال والنساء بعضها من قطع من قماش أخضر .. ولكن بوارو هز رأسه ولم يعرها اهتماماً .

ولاحظت انه يعمل بفتور كمن لا يتوقع أن يسفر بحثه عن نتيجة ، بيد انه ما لبث أن هتف فجأة :

– انظر ..

وأخرج من قاع الصندوق لحية سوداء فحصها باهتمام بالغ .. وقال :

– انها جديدة ..

وبعد تردد قصير ، أعادها الى الصندوق ، ووضع الملابس فوقها كما كانت قبلاً ، وعدنا الى الطابق الأرضي ، وهناك قال :

– يجب ان اتحدث الى دوركاس .. فانتظرني .

وانقضت بضع دقائق قبل أن يلحق بي .

قال :

– انها لا تعرف شيئاً عن اللحية السوداء .

– هل تعتقد انها اللحية التي استخدمها الشخص الذي ابتاع الاستركنين ؟.

– نعم .. ألم تلاحظ أنها قصت حديثاً لكي تشبه لحية انجلثورب ؟.. ان القضية أعقد مما كنا نتصور يا هاستنجز .

– ولكن من الذي وضعها في الصندوق ؟.

– وضعها شخص ذكي في المكان الوحيد الذي لا يراها فيه أحد . نعم . انه ذكي . ولكن يجب ان نكون اذكى منه . لا ندعه يشعر بأننا على أي

قدر من الذكاء .

— آه .. ها هي مسز كافنديش الفاتنة .

ورفع قبعته وأحنى هامته تحية لماري كافنديش واستطرد قائلاً :

— معذرة يا سيدتي . هل تسمحين لي بأن القى عليك سؤالاً او سؤالين .

- عليّ .. طبعاً ..

— أريد ان أسألك عن الباب الموصل بين غرفة الآنسة سنثيا وغرفة مسز انجلثروب .. هل قلت ان هذا الباب كان موصداً بالمزلاج ؟.

— نعم ، قلت ذلك في التحقيق .

— هل أنت واثقة من أنه كان موصداً بالمزلاج وليس مغلقاً بالقفل فحسب؟.

— آه .. فهمت ما تعني .. الحق اني لا أدري . كان الباب مغلقاً ولم استطع فتحه .. ذلك ما أردت أن أقوله ولكني اعتقد انكل الأبواب وجدت موصدة من الداخل ..

- ولكنك أنت شخصياً .. ألم تلاحظي عندما دخلت ما اذا كان الباب موصداً بالمزلاج ام لا ؟.

— أعتقد انه كان موصداً .

— هل رأيته ؟.

كلا . انني لم انظر اليه .

وكان لورنس قد غادر قاعة التدخين منذ لحظة وسمع الشطر الأخير من الحديث فقال بحدة :

— أنا نظرت اليه .. وكان موصداً بالمزلاج

فقال بوارو بشيء من خيبة الأمل :

— آه .. هذا يحسم الأمر .. شكراً لك يا سيدتي العزيزة .. شكراً لك يا مستر لورنس .

ثم طلب الي ان ارافقه الى البيت ، وساد الصمت بيننا وقتاً طويلاً الى ان قال فجأة :

ـ انني لم أر الآنسة سنثيا ، فأين ذهبت ؟.
ـ انها في المستشفى . وقد استأنفت عملها اليوم .
ـ انها فتاة نشيطة ، وجميلة .. ترى هل توافق على أن ازور صيدليتها ؟.
ـ أنا واثق من انها سترحب بك .
ـ هل تذهب الى الصيدلية كل يوم ؟.
ـ كل يوم عدا أيام الاربعاء .
ـ أظن ان لديها كل انواع السموم ؟.
ـ انها أرتني ما عندها من العقاقير السامة .. وكلها في خزانة واحدة مغلقة
ـ هل الخزانة قريبة من النافذة ؟.
ـ كلا . انها في الداخل ، لماذا ؟.

فهز كتفيه وأجاب:
ـ مجرد سؤال .. الا تدخل ؟.
وكنا قد وصلنا الى البيت فأجبته :
ـ كلا . اظن انه يحسن بي ان أذهب .. سأقوم بجولة في الغابة قبل ان أعود الى القصر .

كانت الغابة حول قصر ستايلز من أجمل الغابات ، وقد امتعني السير فوق أعشابها الرطبة بعد المسيرة الطويلة تحت الشمس المحرقة ..

لم تكن هناك نسمة هواء ، ولا زقزقة عصفور فاستلقيت فوق الأعشاب . ونسيت الجريمة .. وبوارو وتثاءبت وغلبني النعاس .. فنمت . ورأيت فيما يرى النائم ان لورنس اهوى بمضرب التنس على رأس انجلثروب فقتله .. وأن جون غضب لذلك غضباً شديداً وصاح به :

ـ كلا . اني لا أسمح بهذا ..

وهنا استيقظت ، ولست ادري كم انقضى من الوقت منذ أغمضت عيني حتى فتحتهما ، ولكنني أحسست على الفور باني في موقف شديد الحرج ، فقد كان

جون وماري كافنديش يقفان وجهاً لوجه على بعد بضع خطوات مني وهما يتشاجران .. وكان من الواضح انهما لا يعلمان بوجودي على مقربة منهما .. لأني قبل ان أتحرك أو أنطق بكلمة .. ردد جون نفس الكلمات التي أيقظتني من نومي .. قال :

— كلا .. انني لا اسمح بهذا .

فأجابت ماري بصوت بارد قاطع كالفولاذ :

— وهل من حقك ان تنتقد ساوكي ؟.

— سوف يكون اسمك مضغة في أفواه أهل القرية. كيف تتسكعين هنا مع هذا الرجل ولما يمضي يومان على دفن أمي ؟.

— الا يهمك سوى ثرثرة الناس في القرية ؟.

— لقد ضقت ذرعاً بهذا الرجل وبطوافه حولك .. ثم لا تنسى انه مجرد أفاق يهودي ..

— انه ليس أسوأ منك على كل حال ..

— ماري !.

وكان في صوته لوم واستعطاف ، ولكنها أجابت بنفس الصلابة والبرود :

— نعم ..

— هل أفهم انك مصممة على الاستمرار في مقابلة باورشتاين رغم ارادتي ؟.

— سأقابله متى شئت ..

— أتتحديني ؟.

— كلا .. ولكني لا اعترف بحقك في نقد ساوكي .. اليست لك صداقات لا اقرها ؟.

فتراجع خطوة الى الوراء وصاح بصوت متهدج وقد غاض الدم من وجهه :

— ماذا تعنين ؟.

— انت تعرف جيداً ماذا اعني . وتعلم ان ليس من حقك ان تعترض على

اختياري لأصدقائي ..

فقال وهو ينظر اليها متوسلاً :

- ليس من حقي ؟. اليس لي حق يا ماري ؟.

فتراخت عضلات وجهها ، وخيل الي انها ستلقي بنفسها في احضانه ، ولكنها عادت فتصلبت بغتة وأجابت وشرر الغضب يتطاير من عينيها :

ـ كلا .. لا حق لك ..

وابتعدت بخطى متزنة .

ولكنه وثب في أثرها وأمسك بساعدها وقال بصوت هادىء

ـ ماري .. أتحبين هذا الرجل ؟.

فترددت قليلاً ثم خلصت ساعدها من قبضة يده في هدوء . وقالت وعلى شفتيها ابتسامة غامضة :

- ربما ..

وابتعدت مسرعة وتركته جامداً في مكانه وكأنه تمثال .

* * *

عندما عدت الى القصر ، وجدت القوم حول مائدة الشاي تحت شجرة الجميز ، وكانت سنثيا قد عادت من المستشفى فجلست على مقعد بجوارها ، وحدثتها عن رغبة بوارو في زيارة الصيدلية فرحبت به وقالت :

ـ حبذا لو جاء في وقت تناول الشاي .. يجب ان أتفق معه على موعد الزيارة .. انه رجل لطيف دائماً وغريب الأطوار احياناً .

وصمتت قليلاً ، ثم نظرت من ركن عينيها نحو ماري وقالت تحدثني بصوت خافت :

ـ مستر هاستنجز !.

- نعم ..

— أريد ان أتحدث اليك على انفراد بعد الشاي .

وأدركت من نظرها الى ماري كافنديش ان العلاقة بينها ليست كلها مودة وصفاء ..

وكان جون قد دخل البيت لأمر ما وعاد وهو مكفهر الوجه مقطب الجبين .. وقال :

— ماذا يريد هذان الشرطيان .. لقد فتشا كل غرفه وقلبا كل شيء رأساً على عقب ..

فقال لورنس :

— أنهما يبديان نشاطاً .. ويتظاهران بأنهما يفعلان شيئاً لكي تشيد الصحف بما يبذلان من جهد .

وبعد الشاي دعوت سنثيا للنزهة في الغابة وما أن ابتعدنا وحجبنا الأشجار عن العيون حتى قلت لأحثها على الكلام :

— حسناً يا سنثيا ..

فجلست على العشب وخلعت قبعتها فصبغت أشعة الشمس شعرهـــا بلون الذهب .. ولاحظت ، ربما لأول مرة ، انها اجمل كثيراً من ماري كافنديش .

قالت :

— لقد أردت ان استشيرك فيما ينبغي ان أفعله ؟.

— نعم ، فلطالما قالت لي العمة اميلي انها سوف تذكرني في وصيتها ، ولكن يبدو انها نسيت ، او انها لم تتوقع الموت .. والنتيجة اني اجد نفسي الآن عالة على اصحاب القصر .. ولا أعلم ما ينبغي أن أفعل ، فهل ترى ان أرحل فوراً ؟.

— كلا طبعاً .. انا واثق من ان احداً لا يريد رحيلك ..

فترددت قليلاً ثم قالت :

مسز كافنديش تريد رحيلي .. انها تكرهني ..

ـ تكرهك ؟
نعم .. انها لا تطيقني .. وهو كذلك .
ـ على العكس يا سنثيا ، أنا أعلم أن جون يحبك .
ـ لست أعني جون .. وإنما أعني لورنس .. أنا لا أعبأ بكراهية لورنس أو حبه، ولكن الانسان لا يسعه إلا الأحساس بالحرج حين يجد انه غير محبوب
ـ ولكنهم يحبونك يا سنثيا ، أنا واثق من ذلك .. ان جون يحبك .. وكذلك ايفلين . و .
ـ نعم .. ان جون يحبني .. وإيفلين لا تؤذي ذبابة رغم خشونتها. ولكن لورنس لا يتحدث الى إلا كارهاً . وماري لا تتنازل بالنظر اليّ .. انها تتوسل الى ايفلين لكي تبقى . ولكنها لا تريدني . ولست أدري ماذا افعل؟
وانفجرت باكية ، فغمرني شعور بالاشفاق عليها والرثاء لها . وتناولت يدها بين يدي ، وقلت لها فجأة :
ـ تزوجيني يا سنثيا
ويبدو انني وقفت للعلاج الناجح لدموعها ، فقد اعتدلت جالسة على الفور وسحبت يدها من يدي وهتفت قائلة :
ـ لا تكن أبله .
ـ أنا لست أبله .. أنا أطلب اليك أن تشرفيني بأن تكوني زوجتي .
ولشد ما كانت دهشتي حين انفجرت ضاحكة وقالت :
ـ هذا جميل منك ، ولكنك تعلم جيداً انك لا تريد الزواج بي .
ـ بل أريد .. انني أملك .
فقاطعتني :
ـ دعنا مما تقلك ، لا أنت تريد هذا الزواج حقاً ولا أنا أريده .. ولكني أرجو لك التوفيق مع أمرأة أخرى .. الى اللقاء انك سريت عني .
واختطفت قبعتها ، وتوارت بين الأشجار .

وهكذا لم يكن لقاؤنا موفقاً على الاطلاق .
وخطر لي فجأة ان اذهب الى القرية لأتسقط انباء الدكتور باورشتاين .
ألم يقل بوارو اننا يجب ان نضعه تحت رقابتنا ؟.
وطرقت باب الشقة التي كنت أعلم انه يقيم فيها .. ففتحت الباب سيدة عجوز .
قلت لها :
— طاب يومك ، هل أستطيع مقابلة الدكتور باورشتاين .
فحملقت في وجهي وقالت :
— ألا تعلم ؟.
— ماذا ؟.
— لقد قبض عليه البوليس .
فلم انتظر المزيد .. وانطلقت أعدو في الطريق الى بيت بوارو .

الفصل التاسع

اعتقال

لشد ما ضايقني ألا أجد بوارو في بيته ..

قال لي زميله المواطن البلجيكي الذي فتح البـاب انه يعتقد انه ذهب الى لندن ..

ترى لماذا اتخذ هذا القرار الفجائي ؟. ولماذا ذهب إلى لندن ؟.

وعدت أدراجي إلى قصر ستايلز .. وقد اتجه تفكيري في الحال إلى ماري كافنديش .. ان اعتقال باور شتاين سيكون صدمة قاسية لها . ترى هل كانت ضالعة معه في الجريمة ؟.

ولكن ماذا يجب أن أفعل الآن ؟. هل أذيع في القصر نبأ باورشتاين ؟.. أم انتظر حتى تذيعه الصحف كلها غـــداً ؟ . ليت بوارو كان موجوداً لكي يرشدني إلى ما ينبغي عمله !.

وأخيراً قررت التزام الصمت .

ولكني دهشت في اليوم التالي حين لم أجد في الصحف أية اشارة إلى اعتقال باورشتاين . كانت هناك بضعة سطور عن جريمة ستايلز الغامضة . ولكن لا كلمة عن باورشتاين وعلاقته بالجريمة .. وتطرق الى ذهني ان المفتش جاب ربما تعمد حجب الخبر عن الصحف تمهيداً لاعتقالات أخرى .

وبعد الأفطار قررت أن أذهب الى القرية لأرى ما اذا كان بوارو قـد عاد من رحلته . وقبل أن أضع فكرتي موضع التنفيذ رأيت وجهه في النـــافذة وسمعت صوته يقول :

— طاب يومك أيها الصديق .

فهرولت اليه ، وهتفت وأنا أشد على يديه :

— لم أكن قط مشوقاً إلى لقاء انسان كما كنت مشوقاً إلى لقائك . اصغ إلي .. انني لم اذكر النبأ لأحد .. أفلم أحسن صنعاً ؟.

— أي نبأ أيها الصديق ؟.

— نبأ القاء القبض على الدكتور باورشتاين ..

— هل القي القبض عليه ؟

— ألم تكن تعلم ؟

— كلا .. ولكن النبأ لا يدهشني .. فالمسافة بيننا هنا وبين الشاطىء لا تزيد على خمسة كيلو مترات .

— الشاطىء ؟. وما علاقة الشاطىء باعتقال باورشتاين ..

— لقد اعتقل بسبب الجريمة ..

— بسبب الجريمة ؟. من قال لك ذلك أيها الصديق .. لقد قبض عليه بتهمة التجسس .

— التجسس ؟.

— نعم ..

— ألم يقبض عليه لتسميمه مسز انجلثروب ؟.

— كلا .. اللهم إلا اذا كان (جاب) قد فقد عقله .

— هل تريد أن تقول أن الرجل جاسوس ؟

— ألم تفطن إلى ذلك ؟

— أبداً ..

ـ ألم تر شيئاً من الغرابة في أن يأتي أحد كبار الاخصائيين ليدفن نفسه في هذه القرية الصغيرة ويتجول في كل ساعة من الليل والنهار في ثيابه كاملة ؟

الحق انني لم أفكر في ذلك .

ـ أن الأمر واضح .

ـ يبدو أنني شديد الغباء فاني لا أرى أية صلة بين قرب الشاطىء ومصرع انجلثروب .

ـ لا توجد أية صلة طبعاً . اننا نتحدث عن اعتقال باورشتاين .

ـ انه الماني المولد ، وقد تجنس بالجنسية الانجليزية منذ خمسة عشر عاماً ، وزاول العمل في لندن سنوات كثيرة حتى لم يعد هنـــاك من يظن انه ليس انجليزياً . انه رجل ماهر .. ويهودي طبعاً ..

ـ ويل للوغد !. هـذا إذن هو الرجل الذي تخرج معه ماري كافنديش للنزهة في كل مكان !

ـ لا شك أنها كانت ذات فائدة له ، فان اهتمام الناس بمغامرتها قد صرفهم عن متابعة تحركاته والارتياب في حقيقته ..

ـ هل تعتقد إذن انه لا يحبها ؟.

ـ لا أستطيع أن أقطع بذلك .. هل تريد رأيي الخاص يا هاستنجز ؟..

ـ نعم ..

رأيي الخاص أن مسز كافنديش لا تحبه ، ولم تحبه .

ولم أستطع اخفاء سروري .. وسألته :

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟.

ـ كل الوثوق ، وسأقول لك لماذا ؟.

ـ لماذا ؟.

ـ لأنها تحب شخصاً آخر أيها الصديق ..

فشعرت بموجة دافئـــة تغمر قلبي ، وقبل أن أنطق بكلمة أخرى ، فتح

الباب فجأة ، ودخلت ايفيلين هوارد وبعد أن أجالت الطرف حولها للتأكد من أنه لا يوجد في الغرفة سوانا ، أخرجت ورقة كبيرة سمراء من النوع الذي تحزم به الطرود والبضائع فقدمتها لبوارو وهي تقول :

- وجدتها فوق دولاب .

وانصرفت بسرعة كما دخلت ..

وبسط بوارو الورقة أمامه ..

كانت عليها بطاقة تحمل (محلات باركسون لتوريد الملابس المسرحية بلندن) وتحتها عنوان (مستر لورنس كافنديش قصر ستايلز).

سألت بوارو :

- هل لهذه الورقة شيء من الأهمية ؟

- ربما .. انها تؤيد فكرة خطرت لي .. وكنت اتوقع وجودها فطلبت الى مس هوارد أن تبحث عنها .

وطوى الورقة بعناية ووضعها في جيبه .

سألته :

- وماذا عن الجريمة يا بوارو ؟ هل توصلت الى نتيجة ؟

- نعم ، وأعتقد انني عرفت كيف ارتكبت .

- أحقاً ..

- نعم ، ولكن من سوء الحظ انني لا أملك الدليل .. آه .. هـا هي دوركاس الطيبة ..

وناداها :

- آنسة دوركاس ..

كان قد رآها من النافذة فأقبلت تلبية لندائه ..

قال لها :

- يا عزيزتي دوركاس .. لقد خطرت لي فكرة إذا ثبتت صحتها كان ذلك

نصراً عظيماً .. اخبريني .. هل حدث يوم الاثنين ، أي اليوم السابق للمأساة أن أصيب جرس سيدتك بتلف ؟.

فنظرت اليه الوصيفة في دهشة وأجابت :

— يا إلهي !. كيف عرفت ذلك ؟. نعم .. لقد تعطل الجرس ويبدو ان فأراً قرض الأسلاك . وجاء رجل في صباح الثلاثاء فأصلحه .

فنظر الى بوارو وصاح مغتبطاً :

— أريت ؟. الأدلة كلها هنا ولا ضرورة للبحث عنها في مكان اخر .. يكفي أن تدع عقلك يعمل . انني في منتهى السعادة أيها الصديق .

وانطلق يعدو ويقفز فوق العشب كمن به مس ، وسمعت صوتاً ورائي يقول :

.. ماذا أصاب صديقك ؟.

فنظرت ، ورأيت ماري كافنديش تبتسم .

- أجبت :

— الحقيقة انني لا اعلم ، انه القى سؤالاً على دوركاس ، وسمع الجواب .. وانطلق يعدو كما رأيت .

فضحكت .

كان واضحاً انها في حالة نفسية طيبة .. فانتهزت الفرصة لأحدثها عن سنثيا .

حدثتها عن موقف الفتاة ومشاعرها ، ومخاوفها ، فأصغت إليّ في أناة ، وأخيراً قالت :

— انك محام بارع يا مستر هاستنجز . ولكنك أتعبت نفسك عبثاً ، قل لسنثيا انه ليس هناك ما تخشاه مني .. لأنني سأرحل .

— سترحلين ؟..

— نعم .. لن أقيم في هذا القصر ..

– هل قررت أنت وجون الاقامة في مكان اخر ؟.
– يستطيع جون أن يبقى .. أما أنا فسأرحل .
– هل ستاركينه ؟
– نعم ..
– ولكن لماذا ؟
فصمتت وقتاً طويلاً قبل أن تجيب :
– ربما لأنني انشد الحرية .

ثم اردفت بعد قليل :
– انك لا تعرف كم أكره هذا القصر ا. لقد كان لي بمثابة السجن ..
– اني أفهم شعورك .. ولكن لا يجب أن تقدمي على عمل طائش .
وحينئذ نطقت بالعبارة التالية التي ندمت عليها فيما بعد أشد الندم .
قلت :
– هل تعلمين ان الدكتور باورشتاين قد اعتقل ؟.
فتحولت على الفور الى تمثال من الجليد وقالت في هدوء:
– لقد كان جون من الكرم بحيث انبأني بذلك صباح اليوم .
– وما رأيك ؟.
– فيم ؟..
– هذا الاعتقال ؟.
– وهل يجب أن يكون لي رأي فيه ؟. انه جاسوس الماني وسيلقى جزاء الجواسيس ..
قالت ذلك وتركتني ومضت ..

* * *

ولم يظهر بوارو في صباح اليوم التالي ، وكذلك لم أر أثراً للمفتش جاب وزميله .

وحول الظهر ظهر أمر جديد ..

كنا قد بحثنا عبثاً عن مصير رابع خطاب كتبته مسز انجالروب ليلة مصرعها . وكنا نرجو أن يرشدنا هذا الخطاب الى أحد أسرار الجريمة .

ولكن بريد الظهيرة حمل الينا رسالة بددت هذا الرجاء .

كانت الرسالة من متجر كبير يقوم بنشر القطع الموسيقية وفيه يقول انه تسلم الشك الذي أرسلته مسز انجالروب وانه يأسف لعدم وجود بعض القطع .. ويرجوها أن تختار قطعاً سواها .

وقبل موعد الشاي ، ذهبت الى بيت بوارو .. ولكني لم أجده ، وسألت خادمة :

– هل ذهب الى لندن مرة أخرى !

– كلا يا سيدي ، انه استقل القطار الى (ثادمنستر) لزيارة صيدلية احدى الفتيات .

– تبا له ... لقد قلت له أن يوم الاربعاء هو يوم اجازتها .. هل لك أن تطلب اليه مقابلتي غداً صباحاً ؟.

– حسناً يا سيدي .

* * *

وانتظرته في صباح اليوم التالي ولكنه لم يحضر .

وبعد الظهر ، قررت ان أذهب اليه مرة أخرى ، وفي هذه المرة وجدته . كان جالساً أمام مكتبه ورأسه بين كفيه فوثب واقفاً حالما رآني ، ولاحظت انه مكفهر الوجه فسألته :

– هل أنت مريض ؟.

– كلا .. لست مريضاً ، ولكني بسبيل اتخاذ قرار خطير .

– عن الجرم وهل تقبض عليه أم لا ؟.

– هـــل أتكلم أو لا أتكلم .

– هل أنت جاد ؟.

– لم أكن قط أكثر جـــدية مني الآن .. ان الأمر يتعلق بأهم شيء في الوجود ..

– وهو ؟ ..

– سعادة امرأة .

– ولم أفهم شيئاً ، واستطرد بوارو قائلاً :

– لقد حان الوقت لكي اتخـــذ قراراً وهأنذا لا أعرف ماذا أفعل.

وأدركت انه لا يريد الإيضاح فانتقلت الى الحديث عن سلثيـــا ، وعتبت عليه انه نسي ما قلته له عن يوم أجازتها فقال :

– الواقع انني نسيت ، ولكن زميلتها كانت فتاة لطيفة فتداركت الأمر وعوضتني عن خيبة أملي .

وصمت لحظة ثم سأل فجأة :

– هل تعرف شيئاً عن بصمات الأصابع ؟.

– كل ما أعرفه انه لا توجد بصمتان متشابهتان .

ففتح درج مكتبه وأخرج عدداً من الصور الفوتوغرافية وضعهـا أمامي وقال :

– انني رقمتها (١) و(٢) و(٣) فهل تستطيع أن تبدي رأياً فيها .

ففحصت الصور وأجبت :

– الصور جميعها مكبرة جداً ، والصورة رقم (١) هي بصمة أصابـــع رجل ، ورقم (٢) بصمة أصابع سيدة ، ولعلك تلاحظ انها صغيرة ومختلفـة تماماً ، أما الصورة رقم (٣) فيبدو انها لمجموعة مختلفة من البصمات ولكـــن بصمات الصورة رقم (١) واضحة فيها .

— واضحة فوق البصمات الأخرى ؟

— نعم .

فجمع الصور وأعادها الى درج المكتب فقلت له :

— انك لن توضح معنى هذه الصور كما هي العادة ؟.

— على العكس ، أن رقم (١) هي صورة بصمة مستر لورنس ورقم (٢) هي صورة بصمة الآنسة ستثيا .. والبصمتان لا أهمية لهما ، ولكني حصلت عليها فقط لمقارنتها ببصمات الصورة رقم (٣) .. ان رقم (٣) معقدة الى حد ما كما رأيت .

— إذن ؟..

— أصغ اليّ يا صديقي .. ان رقم (٣) هي صورة مكبرة جداً لسطح قنينة صغيرة كانت على الرف الأخير من خزانة السموم في صيدلية مستشفى الصليب الأحمر في (تادمنستار) .

— يا إلهي !. ولكن كيف وجدت بصمة لورنس عليها ؟.. انه لم يقترب من خزانة السموم يوم ذهبنا لزيارة ستثيا .

— بل اقترب .

— مستحيل .. اننا كنا معاً طول الوقت .

— كلا يا صديقي .. لقد مرت لحظة لم تكونوا فيها معاً .. وإلا ما طلبت اليه ستثيا أن يلحق بكم في الشرفة .

— آه .. لقد نسيت ذلك ، ولكنه لم يتخلف أكثر من دقيقة .

— انها كافية .

— كافية لماذا ؟

فقال بوارو وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

— كافية لأن يشبع رجل درس الطب فضوله الطبيعي

والتقت عيوننا ..

سألته :

ــ وماذا كان بتلك القنينة الصغيرة يا بوارو ؟..

ــ كان بها مادة هايدرو كلوريد الاستركنين .. وهي مادة لا تستخدم في المقاقير الطبية إلا نادراً ، ولهذا ظلت البصمات واضحة على القنينة .

ــ وكيف حصلت على صورتها ؟..

ــ أسقطت قبعتي من الشرفة ، ولما لم يكن مسموحاً للزائرين بالتواجد في فناء المستشفى في ذلك الوقت ، فقد تكلفت صديقة سنثيا اللطيفة عناء احضار القبعة

ــ هل كنت تعلم انك ستجد هذه البصمات ؟.

ــ كلا .. ولكني ادركت من روايتك أن من المحتمل أن يعبث مستر لورنس في خزائن العقاقير السامة .. وكان لا بد لي أن اؤكد هذا الاحتمال أو استبعده .

ــ بوارو .. ان مرحك لا يخدعني .. وهذا الاكتشاف له اهمية عظمى .

ــ لا أعلم .. ولكن هناك ظاهرة لفتت نظري ولا شك انها لفتت نظرك أيضاً ..

ــ وهي ؟..

ــ وهي كثرة الاستركنين في هذه القضية ، الاستركنين في دواء مسز انجلثروب ، والاستركنين الذي باعه (ميس) . وهذا الاستركنين الذي تداولته يد أحد سكان هذا القصر .. وذلك كله محير .. وأنا لا أحب الحيرة .

وقبل أن أتمكن من الاجابة ، فتح الباب وأطل أحد البلجيكيين برأسه وقال :

ــ بالباب سيدة تسأل عن مستر هاستنجز

ــ سيدة ..

ووثبت من مكاني وهبطت السلم وتبعني بوارو عن كثب ووجدنا ماري كافنديش تقف بالباب .

قالت تحدثني :

ـ كنت في زيارة سيدة عجوز في القرية ، وكانت ايفلين قد قالت لي انك عند مسيو بوارو فخطر لي أن اصطحبك لنعود معاً .

فقال بوارو :

ـ وا أسفاه يا سيدتي . ظننت انك جئت لتشرفيني بزيارتك .

وابتسمت وأجابت :

ـ سأزورك يوماً إذا دعوتني .

ـ أتفقنا إذن يا سيدتي .. وإذا وجدت يوماً انك بحاجة الى أب روحي تعترفين له .. فتذكري أن الأب بوارو في خدمتك دائماً .

فنظرت اليه طويلا ، وكأنها تحاول أن تقرأ في وجهه معنى كلامه ، ثم دارت على عقبيها فجأة وقالت :

ـ ألا تأتي معنا يا مسيو بوارو ؟.

ـ سيسعدني ذلك يا سيدتي .

* * *

وطوال الطريق الى ستايلز ، لم تكف ماري عن الكلام بحدة ، وبطريقة تدل على توتر الأعصاب . وخيل الي انها تحاول دائماً أن تتجنب نظرات بوارو .

وكان الحر قد انحسر فجأة ، وهبت نسمة كنسمات الخريف ، فارتجفت ماري ، وضمت ثوبها حول جسدها .

وعندما اقتربنا من باب القصر ، أسرعت الينا دوركاس وقالت وهي تبكي وتدق صدرها :

ـ ماذا أقول لك يا سيدتي .. وكيف أخبرك بما حدث ؟.

فقلت لها بحزم :

ـ ماذا حدث يا دوركاس ؟ . تكلمي .

ـ لقد قبض الشرطيان الشريران على مستر كافنديش .

فصحت . .

ـ قبضنا على لورنس ؟.

ـ كلا يا سيدي . . قبضنا على مستر جون .

ـ فافلتت من فم ماري صيحة مؤلمة . . وترنحت ، فاسرعت لاتلقاها بين ساعدي ، ووقع بصري على بوارو ، ورأيته يبتسم ابتسامة المنتصر .

الفصل العاشر

القضية

نظرت قضية اتهام كافنديش بقتل زوجة ابيه بعد ذلك بشهرين .

— ولن اطيل الحديث عن الاسابيع التي سبقت المحاكمة وبحسبي أن أقول ان ماري كافنديش ظفرت بكل اعجابي وعطفي خلال هذه الفترة ... ذلك انها وقفت بشجاعة الى جوار زوجها ، ورفضت الاتهام، ودافعت عنه بأسنانها وأظافرها .

وقد عبرت لبوارو عن اعجابي بها فقال :

— انها من النساء اللائي لا يظهر معدنهن إلا في الشدائد.. لقد ابرزت هذه القضية أجمل وأصدق ما فيها .. فألقت جانباً كبرياءها وغيرتها

— غيرتها ؟.

— نعم .. ألم تلاحظ انها امرأة غيور الى أقصى حد ؟

أقول انها القت جانباً كبرياءها وغيرتها . وأصبحت لا تفكر إلا في زوجها وفي المصير الرهيب الذي ينتظره .

وكان يصدر في كلامه عن عاطفة صادقة .. مما ذكرني بحديثه عن القرار الخطير الذي تعين عليه ان يتخذه يوماً ما من أجل سعادة امرأة ..

قلت له :

— انني لا اكاد أصدق ما حدث فقد كنت حتى اللحظة الأخيرة أعتقد ان الاتهام قد يوجه الى لورنس .. لا الى صديقي الحميم جون .

— ان كل مجرم صديق حميم لشخص ما ، فلا تخلط بين العقل والعاطفة .

— إنما كان ينبغي ان تنبهني.

— ربما لم انبهك لأنه صديقك .

— هل تعتقد انهم سيدينونه يا بوارو ؟

— أكبر الظن انه سيبرأ .. ألم أقل لك مراراً انه ليس هناك أدلة .. ان تعرف ان الشخص مذنب شيء . وأن تقدم أدلة ادانته شيء آخر . والأدلة في هذه القضية قليلة وتنقصها الحلقة الأخيرة التي تربط بينها .. وما لم أجد هذه الحلقة ..

وهز رأسه ولم يتم عبارته .

— متى بدأت ريبتك في جون كافنديش يا بوارو ؟.

— ألم ترتب أنت فيه ؟.

— كلا ..

— حتى بعد أن سمعت الحديث الذي دار بين ماري كافنديش ومسز انجلثروب وبعد ان وضح لك افتقار الأولى الى الصراحة خلال جلسة التحقيق..

— كلا .

— ألم تقل لنفسك : اذا لم يكن الفريد انجلثروب هو الذي تشاجر مع زوجته . وقد أكد هو انه لم يتشاجر معها فلا بد ان يكون الطرف الآخر في المشاجرة هو لورنس أو جون ، فاذا كان لورنس ، فان سلوك ماري كافنديش لا يكون له معنى أو مبرر .. أما اذا كان جون . فان المعنى يستقيم

من جميع الوجوه ؟

ــ آه .. اذن فهو جون الذي تشاجر مع زوجة أبيه ؟

ــ تماماً ؟.

ــ وهل كنت تعلم ذلك منذ البداية ؟.

ــ طبعاً .. لأنه التفسير الوحيد لسلوك ماري كافنديش .

ــ ومع ذلك تقول انه سيبرأ ؟.

ــ طبعاً .. اننا سنعرف أدلة الأتهام عندما تعرض القضية على محكمة البوليس ، ومن المرجح ان ينصح المحامي للمتهم بان يحتفظ بدفاعه ، وهكذا تحال القضية الى محكمة الجنايات ويستطيع المتهم حينئذ ان يدلي بدفاعه ، وبهذه المناسبة يجب ان أصارحك باني لن أتقدم للشهادة في هذه القضية .. أولاً لأني أعمل فيها بصفة غير رسمية . وثانياً لأننا نتعامل مع مجرم بارع لا ضمير له ويجب أن نلجأ الى كل الوسائل المتاحة لنا وإلا أفلت من أيدينا .. ولهذا أؤثر البقاء في الظل ، وان ينسب النجاح في اكتشاف الأدلة للمفتش جاب .

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً :

ــ اذا كان ولا بد ان أدلي بشهادتي ، فاني سوف أكون شاهد نفي لا شاهد أثبات .

فلم أصدق اذني . ومضى بوارو يقول :

ــ ذلك ان في استطاعتي أن أهدم ركناً من أركان الأتهام .

ــ وهو ؟.

ــ وهو الركن الخــاص باحراق الوصية .. أن جون كافنديش لم يحرق الوصية .

وقد صح كل ما توقعه بوارو .. ولا محل هنا لتسجيل كل مـا قيل في محكمة

البوليس ، فانه تكرار للحقائق التي نعرفها، وبحسبي أن أقول أن جون احتفظ بدفاعه فأحيلت القضية إلى محكمة الجنايات .

وعندما أقبل شهر سبتمبر ، كنا جميعاً قد انتقلنا إلى لندن فاستأجرت ماري بيتاً في حي كنستجتون ونزل بوارو في ضيافتها ، أما أنا فقد التحقت بوظيفة بوزارة الحربية واستطعت بذلك أن أراهما كل يوم .

ومع مرور الأيام ، زادت أعصاب بوارو توتراً .. ذلك انه لم يجد الحلقة الأخيرة التي تحدث عنها .

وفي الخامس عشر من شهر سبتمبر ، مثل جون كافنديش أمـــام محكمة جنايات أولدبايلي متهماً بقتل زوجة أبيه اميلي انجلثروب عمداً وبسبق الاصرار. وقرر المتهم انه (غير مذنب) وتولى الدفاع عنه سير ارنست هيفيويذر المحامي المشهور ، بينما مثل الاتهام مستر فيليبس المحامي العام .

وافتتح ممثل الاتهام الجلسة باستعراض القضية فقال انها جريمة قتل وحشية دبرها المتهم باحكام ، ونفذها بقسوة ، إذ دس السم لزوجة أبيـه التي كانت له بمثـــابة الأم ، فعنيت به صغيراً ، وغمرته بكرمها عندما كبر ، وأوته هو وزوجته في قصر ستايلز وهيأت لهما حياة رغد ورفاهية .

ثم قال ان لديه شهوداً على أن المتهم كان منحلاً ومسرفاً ، وانه كان غارقاً في الديون وله علاقة بسيدة متزوجة في مزرعة مجاورة تسمى مسز ريكس . ولما علمت زوجة أبيه بسلوكه المشين دعته اليهـا بعد ظهر اليوم الذي لقيت فيه مصرعها ، واشتدت في تعنيفه واحتدم بينهما شجـــار سمع بعض ما دار فيه .

وفي اليوم السابق للجريمة اشترى المتهم من صيدلية القرية كمية من الاستركنين وذلك بعد أن تنكر في زي رجل آخر أراد أن يلقي عليه تبعة الجريمة .. وذلك الرجل هو زوج مسز انجلثروب الذي كان المتهم يمقته ويغـــار منه ..

ولحسن الحظ استطاع مستر انجلثروب أن يثبت براءته .

وبعد ظهر يوم ١٧ يوليه ، عقب المشاجرة مباشرة ، كتبت مسز انجلثروب وصية جديدة وقد وجدت بقايا هذه الوصية في مدفأة غرفتها في صباح اليوم التالي ، ولكن هناك أدلة على أن هذه الوصية الجديدة كانت لصالح زوجها ، وكانت المجنى عليها قد كتبت قبل زواجها وصية أخرى لصالح الزوج نفسه .. ولكن المتهم لم يعلم بأمرها .. كذلك لا يعلم المتهم لماذا كتبت المجني عليها الوصية الجديدة رغم وجود الوصية القديمة .. ومن المحتمل ان تكون المجنى عليها قد نسيت — بحكم تقدمها في السن — الوصية القديمة أو لعلها ظنت أن الزواج قد ألغاها. خاصة وقد دار بينها وبين أفراد الأسرة حديث بهذا المعنى .. والنساء كما معلوم لا يعرفن الكثير في هذه الأمور القانونية .

كذلك ثبت أن المجنى عليها كتبت قبل عام وصية لصالح المتهم ..

ثم قال : وسأقدم شهوداً على أن المتهم هو الذي حمل القهوة إلى المجنى عليها في ليلة مصرعها . وثمة أدلة على انه تسلل الى غرفتها في تلك الليـــلة ووجد الوصية وأحرقها .. ظناً منه أن احراقها سيجعل الوصية التي كتبت لصالحه قبل عام نافذة المفعول .

وقد قبض المفتش (جاب) على المتهم بعد أن وجد في غرفته زجاجـــة الاستركنين التي اشتراها من صيدلية القرية قبل الجريمة .

وبذلك أنهى ممثل الاتهام استعراضه لظروف الجريمة وجفف العرق المتصبب على جبينه وجلس .

واستمعت المحكمة إلى شهود الأثبات الذين ادلوا بأقوالهم في جلسة التحقيق ، وجاء مستر ميس الصيدلي وتعرف على الزجاجة التي وجدت في غرفـــة المتهم ، وقال انه باعها لمستر انجلثروب الذي لم يكن يعرفه إلا بالأسم فقط .. ودعي انجلثروب فأنكر انه اشترى الاستركنين كما أنكر انه تشاجر مع

زوجته وأيده بعض الشهود .
وشهد البستاني ومساعده بانهما وقعا باسميهما على الوصية .
وجاءت دوركاس الأمينـــة فأنكرت بشدة أن الصوت الذي سمعته في المشاجرة كان صوت جون .. وأصرت على انه كان صوت انجلثروب نفسه .
وسألها مستر فيليبس :
ــ هل تذكرين طرداً ورد عحلات باركسون إلى مستر لورنس كافنديش في شهر يونيو الماضي ؟.
ــ لا أذكر يا سيدي .. ربما ورد .. ولكن مستر لورنس كان غائباً في ويلز خلال شهر يونيو .
ـ ماذا يحدث عادة إذا ورد له طرد اثناء غيابه ؟.
ــ إما أن يوضع في غرفته أو يرسل اليه حيث يكون .
ـ أنت التي تفعلين ذلك ؟.
ــ كلا يا سيدي . اني أضعه على مـــائدة في البهو . لتتولى مس ايفلين هوارد أمره .
ودعيت ايفلين هوارد ، وبعد استجوابها ، سئلت عن الطرد فأجابت :
ــ لا أذكر شيئاً عنه ، فان طروداً كثيرة ترد .
ــ ألا تذكرين مـــا اذا كان هذا الطرد قد أرسل الى مستر لورنس في ويلز أو وضع في غرفته ؟.
ـ لا أظن اني ارسلته اليه .
ــ هبي أن طرداً باسم مستر لورنس كافنديش ثم اختفى بعد ذلك فهل ستلاحظين اختفائه ؟.
ــ كلا يا سيدي .. سيتبادر الى ذهني أن أحداً تولى أمره .
ــ أظن يا مس هوارد انك أنت التي وجدت هذه الورقة السمراء ؟.
وعرض عليها الورقة التي كانت قد وجدتها فوق أحد الدواليب وقدمتهـا لبوارو .

أجابت :

— نعم يا سيدي .

— كيف عثرت عليها ؟.

— كلفني البوليس البلجيكي المنوط بالقضية بالبحث عنها .

— وأين وجدتها ؟.

— فوق الدولاب .

— دولاب المتهم ؟.

— أظن ذلك ..

— الست أنت التي وجدتها ؟.

— نعم ..

— اذن لا بد انك تعرفين أين وجدتها .

— نعم ، وجدتها فوق دولاب المتهم .

وجـــاء موظف محلات باركسون للملابس المسرحية فقرر انه تلقى رسالة واذن بريد من مستر كافنديش .. وقد طلب في الرسالة موافاته بلحية مستعارة سوداء ، وأن اللحية أرسلت اليه في طرد بتاريخ ٢٩ يونيو .

وهنا نهض السير أرنست وشرع في مناقشة الشاهد :

— من أين صدرت الرسالة ؟.

— من ستايلز .

— وهل أرسلت الطرد إلى هذا العنوان ؟.

— نعم .

— كيف عرفت أن الرسالة صدرت من ستايلز ؟. هل رأيت خاتم مكتب البريد ؟.

— كلا .. ولكن ..

— آه . أنت لم تر خاتم البريد . ومع ذلك تؤكد أن الرسالة صدرت من ستايلز .. أما كان يمكن أن يكون عليها خاتم بريد آخر ؟.

ـ نعم .
ـ ألا يمكن أن تكون الرسالة قد كتبت على ورقة مطبوعة باسم وعنوان قصر ستايلز ثم أرسلت من ويلز ؟
ـ ذلك ممكن .
ـ حسناً .. هذا يكفي .

ودعيت اليزابيت ويست ـ احدى خادمات قصر ستايلز فقررت انها بعد أن ذهبت الى فراشها في ليلة الجريمة ، تذكرت أنها اوصدت الباب الخارجي بالمزلاج خلافاً لتعليمات مستر الجلاروب فهبطت درج السلم لتصحح خطأهـا ، وسمعت حركة في الجناح الأيسر ، فنظرت في الدهليز ، ورأت مستر جون كافنديش يطرق باب مسز الجلاروب .

فنهض السير ارنست لمناقشتها وراح يلقي عليها السؤال تلو السؤال دون أن يدع لها فرصة التفكير حتى اضطربت وناقضت نفسها .

وعلى أثر ذلك رفعت الجلسة على أن تعود للانعقاد في صباح اليوم التالي .

وفي الطريق الى البيت ، راحت ماري تتحدث عن ممثل الاتهام بمرارة ، قالت :

ـ هذا الرجل البغيض ، انه القى شباكه حـول المسكين وراح يضخم الحقائق الصغيرة ليجعلها تبدو أكبر من حجمها .

فقلت لأسري عنها :

ـ اطمئني .. فسوف يتغير الوضع غداً .

ـ نعم .. نعم .. ولكن حدثني يا مستر هاستنجز .. الا يمكن أن يكون لورنس هو الذي .. ولكن لا .. ذلك مستحيل ..

بيد انني كنت أيضاً في أشد الحيرة .. وما أن خـلوت الى بوارو حتى سألته عما يهدف اليه سير أرنست .. فأجاب بلهجة الأكبار :

ـ انه رجل بارع .. هذا السير ارنست .

ـ هل هو مؤمن ببراءة جون ؟

ـ لا أظن انه يؤمن بشيء .. ان هدفه فيما أعتقد هو احداث اكبر قدر من الاضطرابات والفوضى في أذهان المحلفين حتى تختلف آراؤهم حول أي الآخرين هو المذنب .. انه يحاول الآن اقناع المحلفين بأن الأدلة والقرائن ضد لورنس لا تقل عن مثيلاتها ضد جون .. وأنا على يقين من انه سينجح في ذلك .

* * *

وكان المفتش جاب هو اول الشهود في جلسة اليوم التالي ، فأدلى بأقـواله بايجاز ووضوح وقال بعد أن روى الأحداث الأولى :

ـ وبناء على المعلومات التي تلقيناها ، قمت انا والمفتش سمرهـاي بتفتيش غرفة المتهم اثناء غيابه ، فعثرنا في أحد الأدراج على نظارة تشبه نظارة مستر انجلثروب مخبأة تحت الملابس ، كما عثرنا على هذه الزجاجة الصغيرة التي تعرف عليها الصيدلي والتي بها بقية من سم الاستركنين .

وقال جاب انه عثر كذلك في دفتر شيكات المجني عليها ، على ورقة نشاف جديدة وضعتها أمام المرآة فعكست هذه الكلمات (.. كل ممتلكاتي وأموالي أتركها بعد موتي لزوجي المحبوب الفريد انجـ ..) مما يؤكد أن الوصية التي أحرقت كانت لصالح زوج المجني عليها .

ثم ابرز جاب اللحية السوداء وقصاصة الورق المحترقة التي وجدت في المدفأة وبذلك انتهت أقواله .. ونهض السير أرنست لمناقشته ، فسأله :

ـ في أي يوم قمت بتفتيش غرفة المتهم .

ـ في يوم الثلاثاء ٢٤ يوليو .

ـ تقول انك وجدت النظارة والزجاجة في درج الملابس .. هـل كان الدرج مفتوحاً ؟ .

نعم .

- ألا ترى انه من غير المعقول ان يضع الرجل الذي ارتكب جريمة قتل ، أدلة الجريمة في درج مفتوح حيث يستطيع أي انسان أن يجدها ؟.

- لعله وضعها هناك على عجل .

- ولكنك قلت منذ لحظة ان اسبوعاً مر على ارتكاب الجريمة ، أي كان لديه الوقت الكافي لنقل الأدلة أو تدميرها .

- ربما ..

- لا توجد ربما .. هل كان لديه الوقت الكافي لنقل الأدلة أو تدميرها أو لم يكن ؟.

- كان لديه الوقت الكافي .

- هل كانت الثياب الداخلية التي اخفيت تحتها الأدلة ثقيلة او خفيفة ؟.

- كانت ثقيلة .

- معنى ذلك انها ثياب شتوية .. وان من الطبيعي الا يتوجه الى الدرج الذي به هذه الثياب

ربما لا ..

- أرجوك الأجابة على سؤالي ، هل من الطبيعي أن يتوجه المتهم في أشد أسابيع الصيف حرارة الى الدرج الذي يحتوي على ملابس الشتاء ؟. نعم ، او لا

- لا ..

- في هذه الحالة .. ألا يمكن أن يكون شخص آخر قد وضع الأدلة في الدرج .. وان يكون المتهم لا يعلم شيئاً عنها ؟

- لا أظن ان ذلك ما حدث .

ولكنه ممكن الحدوث ؟.

- نعم ..

وتوالت الأدلة .

أدلة على سوء مركز المتهم ، وأدلة على مغامرته مع مسز ريكس .

مسكينة ماري !. لا بد أن تكون هذه الأدلة قد حطمت كبرياءها .

ودعي لورنس كافنديش لأداء الشهادة .. وأجاب بصوت خافت على أسئلة ممثل الاتهام فنفى انه طلب شيئاً من محلات باركسون في شهر يونيو ، وقال انه في ٢٩ يونيو كان موجوداً في ويلز .

وتصدى السير ارنست لمناقشة المتهم .

سأله :

- هل تنكر انك طلبت لحية سوداء من محلات باركسون في ٢٩ يونيو ؟.

- إذا حدث لأخيك شيء فمن يرث قصر ستايلز ؟.

وكان السؤال من القسوة بحيث أحمر وجه الشاهد بعد امتقاع ، وتمتم القاضي بكلمات تعبر عن الاستهجان . وهز المتهم قضبان قفصه الحديدي غضباً .

- ولكن المحامي لم يعبأ بغضب موكله وصاح بالشاهد :

- أجب على سؤالي .

فأجاب لورنس في هدوء :

- أظن انني أرثه .

- ماذا تعني بكلمة (أظن) ؟ ان أخاك لم يرزق بأولاد . فأنت الذي ترثه .. أليس كذلك ؟.

- نعم ..

- وترث كذلك جانباً كبيراً من ثروته .. أليس كذلك ؟.

فقال القاضي محتجاً :

- أعتقد أن هذه الأسئلة لا ضرورة لها يا سير ارنست ؟.

فأحنى السير أرنست رأسه موافقاً .. ولكن بعد أن كان قد أطلق سهمه

- هل ذهبت في يوم الثلاثاء ١٧ يوليو ومعك زائر آخر لزيارة صيدليـــة مستشفى الصليب الاحمر في (تادمنستر) ؟.

- نعم .

وهل انتهزت فرصة وجودك وحدك لبضع ثوان ففتحت خزانة العقاقير

السامة وفحصت بعض الزجاجات ؟.

– قد . قد أكون فعلت ذلك .

– أنا أقول بأنك فعلت ذلك .

– نعم .

– هل فحصت زجاجة بعينها ؟

– كلا . لا أظن انني فعلت .

– حذار يا مستر كافنديش .. انني اتكلم عن زجاجة صغيرة بها هايدرو كلوريد الاستركنين .

– كلا أنا واثق من انني لم افعل .

– إذن كيف تفسر وجود بصمات أصابعك على الزجاجة ؟.

كانت خشونة السير أرنست في المناقشة خليقة بأن تدمر الشاهد العصبي ..

قال لورنس بلسان متلعثم :

– أعتقد انني تناولت الزجاجة .

– أنا أيضاً أعتقد ذلك . هل تناولت شيئاً من محتويات الزجاجة ؟

كلا بالتأكيد ..

– إذن لماذا تناولتها ؟

– انني درست الطب ، وطبيعي أن تهمني هذه الأشياء .

آه طبيعي أن تهمك السموم ؟ ومع ذلك فانك انتظرت حتى أصبحت وحدك لكي تمارس اهتمامك .

كان ذلك مجرد مصادفة ، ولو قد بقى الآخرون لفعلت نفس الشيء

– ولكن ما حدث فعلاً هو ان الآخرين لم يبقوا .

– نعم . ولكن .

– الواقع انك طوال بعد الظهر ، لم تنفرد بنفسك أكثر من دقيقتين ، وشاءت المصادفة .. أقول المصادفة .. الا يظهر اهتمامك الطبيعي بالاستركنين إلا خلال هاتين الدقيقتين

فقال لورنس متلعثماً :

ـ أنا .. أنا ..

ولم يدع له السير ارنست فرصة الكلام وقال :

لم يبق هناك ما أسألك عنه يا مستر كافنديش ..

* * *

وأحدثت هذه المناقشة تأثيراً عميقاً في قاعة الجلسة .. فالتقت الرؤوس، وزاد التهامس ، وحدثت جلبة غير عادية اضطرت القاضي الى التهديد باخلاء قاعة الجلسة اذا لم يسد النظام .

ونودي على خبراء الخطوط للادلاء برأيهم في توقيع الفريد انجلثروب في سجل السموم الخاص بصيدلية القرية فقرروا بالاجماع ان التوقيع ليس بخطه .. ولكن يحتمل أن يكون بخط المتهم نظراً للتشابه بينه وبين خط التوقيع ..

وبدأ السير ارنست دفاعه عن المتهم وكان دفاعاً قصيراً مركزاً فيه كثيراً من ملامح القوة ، فقال انه لم ير طوال حياته العملية اتهاماً في جريمة قتل يستند الى أشد هزالاً من أدلة هذا الاتهام . ليس فقط لأنها تقوم على القرائن وانما كذلك لأن الجانب الأكبر منها لم يثبت ، ثم طلب الى المحلفين أن ينظروا الى أقوال الشهود بغير تحيز ، فالاستركنين مثلاً قد وجد في درج المتهم ، وثبت ان الدرج كان مفتوحاً ، ولم يقم دليل على أن المتهم هو الذي أخفى السم فيه . والواقع ، ان اخفاء السم في ذلك الدرج كان محاولة آثمة من صنع شخص آخر أراد الإيقاع بالمتهم واثبات التهمة عليه ..

وهذا وقد عجز الاتهام تماماً عن ابراز أي دليل على أن المتهم طلب اللحية السوداء من محلات باركسون . أما الخلاف الذي شجر بين المتهم وزوجة أبيه . فان المتهم قد اعترف به ، بيد أن هذا الخلاف ومتاعب المتهم المالية قد بولغ فيهما كثيراً .

وقد قال الزميل المحترم ممثل الاتهام ، ان المتهم لو كان بريئاً لتقدم بنفسه في جلسة التحقيق واعترف بـأنه هو الطرف الثاني في المشـاجرة وليس مستر انجلثروب .. ولكن يبدو ان الحقائق قد أسيء عرضها ، لأن ما حدث فعلاً هو الآتي عندما عاد المتهم الى البيت في مساء الثلاثاء قال له مصدر لا يشك في صدقه ان شجاراً عنيفاً شجر بين مسز انجلثروب وزوجهـا . فلم يتطرق الى ذهن المتهم ان هناك من يخطيء في معرفة صوته ويتوهم انه صوت انجلثروب ، وهكذا اعتقد المتهم ان زوجة أبيه قد تشاجرت مرتين . مرة معه ، ومرة أخرى مع زوجها ..

وقال الاتهام انه في مساء يوم الاثنين ١٦ يونيه ذهب المتهم الى صيدلية القرية متنكراً في زي مستر انجلثروب ، والواقع ان المتهم كان في ذلك الوقت في بقعة مهجورة تدعى (مطحن مارستون) .. وقد ذهب اليها تلبية لرسالة من مجهول كتبت بـأسلوب ابتزازي ، وتضمنت تهديداً باطلاع زوجته على أمور معينة اذا هو لم يستجب لما جاء في الرسالة وهكذا ذهب المتهم الى ذلك المكان وبعد ان انتظر زهاء نصف ساعة بلا جدوى ، عـاد أدراجه الى البيت . ومن سوء الحظ انه لم يلتق في الذهاب والاياب بأي شخص يمكن ان يؤيد صدق هذه القضية .. ولكن من حسن الحظ انه احتفظ بالرسالة .. وسيقدمها وكيل الدفاع كدليل .

أما الوصية التي قيل ان المتهم أحرقهـا ، فان المتهم قد مارس المحاماة في وقت ما ، ويعلم جيداً ان الوصية التي كتبت لصالحه قبل عام قد أصبحت ملغاة بعد زواج امرأة أبيه . وان الدفـاع على استعداد لأن يقيم الدليل على أن شخصاً آخر هو الذي أحرق الوصية . مما قد يترتب عليه تحول جديد في سير القضية .

ثم لفت الدفـاع أنظار المحلفين إلى وجود أدلة ضد اناس آخرين عدا جون كافنديش ومن هؤلاء على سبيل المثال مستر كافنديش الذي تكاد الأدلة ضده أن تكون في قوة الأدلة ضد أخيه وربما أقوى..

ثم طلب الدفاع استجواب المتهم . واستطاع جون بفضل لبـــاقة السير ارنست وحسن ارشاده أن يقنع المحلفين بقصته وأبرز السير أرنست الرسالة التي تلقاها المتهم وقدمها الى المحلفين لفحصها ..

وكان لاعتراف جون الصريح بمتاعبه المالية وبمشاجرته مع زوجة أبيه وقع طيب دعم موقفه .

وفي نهاية المناقشة ، تريث جون قليلاً ثم قال :

ــ يهمني ان أوضح أمراً واحداً ..إنني أرفض تماماً ولا أقر أبداً تلميحات السير ارنست ضد أخي .. لأنني واثق من براءة أمي ، بقدر ثقتي من براءتي ..

فابتسم السير ارنست ، ولاحظ بارتياح الأثر الطيب الذي تركه هــــذا التصريح في نفوس المحلفين ..

ثم بدأ استجواب المتهم فسأله مستر فيليبس ممثل الاتهام :

ــ قلت انه لم يتطرق إلى ذهنك أن الشهود في جلسة التحقيق قد أخطأوا وظنوا أنهم سمعوا صوت انجلثروب لا صوتك .. أفلا ترى أن هذا الكلام يبعث على الدهشة ؟.

ــ كلا . فقد قيل لي انه كانت هناك مشاجرة بين مسز انجلثروب وزوجها ولم يخطر لي ببال أن ذلك غير صحيح .

ــ حتى بعد أن ذكرت دوركاس فقرات من الحديث لا بد انك تذكرها جيداً؟

ــ أنني لم أذكرها ..

ــ لا بد أن ذاكرتك ضعيفة بطريقة غير مألوفة ..

ــ كلا .. ولكني كنت غاضباً ، وقلت كلاماً كثيراً ، ولم ألق بالاً إلى كلمات أمي ..

وانتقل مستر فيلبس إلى موضوع آخر ، قال :

ــ انك أبرزت هـــذه الرسالة في الوقت المناسب ، ولكن أخبرني . ألم تلاحظ شيئاً مألوفاً في الخط الذي كتبت به ؟.

ـ كلا ..
ـ ألا ترى أن هناك تشابهاً ملحوظاً بينه وبين خطك بعد قليل من التغيير؟
ـ لا أظن ذلك ..
ـ أنا أقول انه خطك ..
ـ كلا ..
ـ وانك بعد أن اخترعت قصة الموعد المزعوم في ذلك المكان المهجور ، كتبت هذه الرسالة تأييداً لقصتك ..
ـ كلا ..

أليس صحيحاً انك في الوقت الذي زعمت انك ذهبت فيه إلى المكان المهجور ، كنت في الواقع في الصيدلية حيث اشتريت الاستركنين باسم مستر انجلثروب ؟.

ـ هذا كذب ..
ـ أنا أقول انك ارتديت أحد ثياب مستر انجلثروب ، وتنكرت بلحية كلحيته ووضعت على عينيك نظارة كنظارته . ووقعت على السجل باسمه ..
ـ لم يحدث .
ـ إذن أنا أترك لهيئة المحلفين الحكم على التشابه الواضح بين خط الرسالة وخط التوقيع وخطك ..
قال ذلك وعاد إلى مقعده ..
ولما كان الوقت متأخراً ، فقد اكتفت المحكمة بهذا القدر ، وأمر القاضي برفع الجلسة ، على أن يستأنف نظر القضية في صباح الاثنين .

ولاحظت عبوس بوارو ووجومه ، فسألته :
ـ ماذا بك يا مسيو بوارو ؟.

ـ ان الأمور تسير من سيء إلى أسوأ أيها الصديق ولم أعثر بعد على الحلقة الأخيرة .

وعندما وصلنا إلى البيت ، دعته ماري لتنـــاول الشاي ولكنه اعتذر وهرول إلى غرفته . وعندما لحقت به .. وجدته جالساً مقطب الجبين أمام مكتبه ، وأمامه بعض أوراق اللعب يحاول أن يقيم بها بيتاً ..

فسألته :

— ما هذا الذي تفعله يا بوارو ؟.

— أنني احاول تهدئة أعصابي .. هذا كل ما في الأمر .. وهذه العمليـــة تتطلب اتزان الأصابع .. واتزان الأصابع معناه اتزان العقل ..

ورأيت البيت المصنوع من ورق اللعب يرتفع طابقاً بعد طابق ، فقلت له بأعجاب :

— ما أثبت يدك يا بوارو !! لقد حدث مرة واحدة فقط أنني رأيت يدك ترتجف ..

— لا بد أنني كنت ثائراً .

- بل كنت في قمة الثورة .. هل تذكر متى حدث ذلك ؟. حدث حين اكتشفت أن قفل حقيبة أوراق مسز انجلثروب قد فتح عنوة .. وقتئذ وقفت أمام المدفأة وأخذت تعيد تنظيم التحف والأشياء التي فوقها .. فلاحظت أن يدك ترتجف كريشة في ..

ولم أتم عبارتي ، فقد أرسل بوارو فجأة صيحة مزعجة ، وهدم بيت الورق الذي شيده . ثم وضع يديه فوق عينيه ووقف يترنح .

واستولى عليّ الذعر وهتفت :

— ماذا أصابك يا بوارو ؟. هل أنت مريض ؟

— كلا .. كلا .. انها فكرة خطرت لي ..

— كسائر أفكارك الصغيرة المألوفة ؟

— كلا . انها هذه المرة فكرة هائلة . هائلة ..

وانقض عليّ وضمني إلى صدره ، وقبل جبيني . وانطلق يعدو إلى الخارج كالمجنون ..

الفصل الحادي عشر

الحلقة الاخيرة

لم يعد بوارو في تلك الليلة .. وانتظرنا عودته في الصباح دون جدوى .. وحول الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم ، وكان يوم أحد ، وقفت إحدى سيارات الأجرة بالباب وهبط منها بوارو ومعه المفتشان جاب وسمرهاي ..

وكان بوارو متهلل الوجه ، هادىء الأعصاب فانحنى قامته لماري كافنديش باحترام مبالغ فيه وقال :

– هل تسمح لي سيدتي بأن أعقد اجتماعاً صغيراً بقاعة الاستقبال ؟

فارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وأجابت :

– أنت تعلم يا مسيو بوارو ان كل مطلب لك مجاب ..

– أنت كريمة جداً يا سيدتي ..

ودعانا جميعاً للاجتماع به في قاعة الاستقبال وقال وهو يحدد لكل منا مكانه :

– مس هوارد .. هنا ، آنسة سنثيا . مستر لورنس دوركاس الطيبة .. آني . هذا حسن ، يجب أن ننتظر بضع دقائق ريثما يحضر مستر انجلثروب .. لقد أرسلت في طلبه .

وثبت ايفيلين هوارد من مقعدها وصاحت :

– اذا جاء هذا الرجل فانني سأغادر البيت .

فقال بوارو :

— كلا .. كلا .. يا مس هوارد .

وما زال يتحدث اليها بصوت خافت حتى عادت الى مقعدها .

وبعد بضع دقائق دخل الفريد انجلثروب .

وما أن استقر كل في مكانه حتى نهض بوارو واقفاً وقال بعد ان أحنى قامته تحية للموجودين كما يفعل المحاضر وقال :

— سيداتي ، سادتي .. لقد دعاني مستر جون كافنديش — كما تعلمون جميعاً — لبحث هذه القضية فشرعت على الفور في تفتيش غرفة المجني عليها ، وكانت قد اغلقت بأمر الطبيبين ، ولهذا وجدتها في نفس الحالة التي كانت عليها عند وقوع الحادث ..

وكانت نتيجة التفتيش اني عثرت على ثلاثة أشياء : الأول ، بعض خيوط من نسيج أخضر اللون ، والثاني بقعة كبيرة لا تزال رطبة ، على السجادة بالقرب من النافذة ، والثالث علبة فارغة كان بها مادة البروميد .

وسأتحدث الآن عن الخيوط الخضراء .. انني وجدت هذه الخيوط عالقة بمزلاج الباب الموصل بين غرفة المجني عليها وغرفة الآنسة سنثيا . وقد وضعت هذه الخيوط بين أيدي رجال البوليس فلم يجدوا لها اهمية .. بل ولم يستطيعوا تمييزها كجزء من أحد الأكمام الخضراء التي يستخدمها العاملون في المزارع والحظائر عند حلب الأبقار .

ولم يكن في قصر ستايلز من يعني بحلب الأبقار سوى مسز كافنديش .. إذن لا بد ان تكون مسز كافنديش هي التي دخلت غرفة المجني عليها من الباب الموصل بين هذه الغرفة وغرفة الآنسة سنثيا .

وهنا لم أتمالك من أن أصيح :

— ولكن هذا الباب كان موصداً بالمزلاج من الداخل !.

فأجاب بوارو :

— نعم .. عندما فتشت الغرفة كان هذا الباب موصداً بالمزلاج من الداخل، ولكن قبل التفتيش .. أو على الأصح عند محاولة الوصول الى غرفة مسز انجلثروب لنجدتها ، كانت مسز كافنديش هي التي عالجت هذا الباب بالذات وهي التي قالت انه موصد بالمزلاج من الداخل .. والحقيقة انه لم يكن موصداً وانها انتهزت فرصة الاضطراب الذي حدث بعد اقتحام الغرفة فأوصدت الباب بالمزلاج .

ولقد أردت التحقيق من صحة استنتاجاتي.. فوجدت أن الخيوط الخضراء منزوعة فعلاً من أحد الأكمام التي تستخدمها مسز كافنديش في حلب الأبقار ..

وقالت مسز كافنديش في جلسة التحقيق انها كانت في غرفتها حين سمعت صوت سقوط المائدة الصغيرة في غرفة مسز انجلثروب ، فأردت أن أتحقق من ذلك أيضاً وأوقفت صديقي مستر هاستنجز بجوار بابها ، وتعمدت أسقاط المائدة في غرفة مسز انجلثروب ، وكانت النتيجة كما توقعت ، إذ لم يسمع مستر هاستنجز أي صوت على الأطلاق .. مما أيد اعتقادي بأن مسز كافنديش لم تذكر الحقيقة حين قالت انها كانت ترتدي ثيابها في غرفتها وقت المأساة .. والواقع انها كانت في غرفة المجني عليها حين دقت هذه الأخيرة الجرس الذي أيقظ وصيفتها ..

وهنا حانت مني التفاته الى ماري كافنديش .. فاذا بها تبتسم رغم شحوب وجهها .

واستطرد بوارو قائلاً :

— ومن هذا المنطق ، تبادر تصوري للاحداث .. على النحو التالي : لقد دخلت مسز كافنديش غرفة المجني عليها للبحث عن شيء . ولم تكن قد عثرت عليه حين استيقظت مسز انجلثروب فجأة على نوبة ألم حادة وبسطت يدها بعنف فأسقطت المائدة الصغيرة التي بجوار فراشها ثم عثرت على زر الجرس

وضغطته بعنف ..

ونظر الى مسز كافنديش وسألها :

— هل أنا على صواب يا سيدتي ؟..

— نعم يا سيدي .. ولكن يجب ان تدرك انه لو كان الكشف عن هذه الحقائق يفيد زوجي لما ترددت في الاعتراف بها ، ولكني رأيت انها لن تؤثر على براءته أو ادانته ..

— هذا صحيح الى حد ما يا سيدتي ، ولكن هذه الحقائق جنبتني التخبط وجعلتني أرى الأمور بوضوح .

فصاح لورنس :

— إذن انت التي احرقت الوصية يا ماري ..

فهز بوارو رأسه وكذلك فعلت ماري وقال الأول :

— كلا .. لا يوجد سوى شخص واحد كان في استطاعته أن يحرق الوصية وذلك الشخص هو مسز انجلثروب نفسها .

فصحت :

— مستحيل !.. انها كانت قد كتبتها منذ ساعات قلائل فقط .

فقال بوارو :

— نعم يا صديقي !. ان مسز انجلثروب هي التي أحرقتها.. وإلا فبماذا تفسر الأمر الذي أصدرته باشعال النار في مدفأة غرفتها في يوم من أشد الأيام حرارة وقيظاً ؟.. لقد كانت درجة الحرارة في ذلك اليوم ٨٠ في الظل ، ومع ذلك أمرت مسز انجلثروب بأشعال النار في المدفأة . لماذا ..لأنها أرادت تدمير شيء لم تجد وسيلة أخرى لتدميره .. وأنتم تعلمون ان القصر كان يطبق اقتصاديات الحرب التي تقضي بالاحتفاظ بالأوراق المهملة.. ولم تكن هناك وسيلة أخرى للتخلص من ورقة سميكة كالورقة التي كتبت عليها الوصية .. وعندما علمت ان مسز انجلثروب أمرت بأشعال النار في مدفأتها .. استنتجت على الفور انها تريد احراق وثيقة هامة . قد تكون وصية ، ولذلك لم أدهش حين وجدت

تلك القصاصة في رماد المدفأة ، ولم أكن أعلم وقتئذ ان الوصية كتبت بعد ظهر ذلك اليوم فقط ، فلما علمت ، تصورت خطأ ان مسز انجلثروب انما قررت أعدام الوصية كنتيجة مباشرة للمشاجرة التي وقعت بعد ظهر ذلك اليوم .. وان المشاجرة حدثت بعد كتابة الوصية لا قبلها .

وقد اضطررت ، بعد أن تبينت خطأي ، الى مواجهة المشكلة من زاوية اخرى ..

لقد قررت دوركاس انها في الساعة الرابعة سمعت سيدتها بغضب :(لا يجب أن تتصور أن الخوف من فضيحة بين الزوج وزوجته يمكن أن تثنيني عما قررته) فاستنتجت ، وكان استنتاجي صحيحاً .. ان هذا الكلام كان موجهاً الى مستر جون كافنديش لا الى زوجها .

وفي الساعة الخامسة .. أي بعد ساعة ، استعملت مسز انجلثروب نفس الألفاظ ولكن من وجهة نظر أخرى إذ قالت لدوركاس : انني لا أعرف ماذا يجب أن أفعل . ان الفضيحة بين الزوج وزوجته أمر مخيف .

وفي الساعة الرابعة كانت غاضبة .. ولكنها لم تفقد سيطرتها على نفسها .. وفي الساعة الخامسة كانت تمر بأزمة نفسية عنيفة وقالت ان الأمر (كان صدمة شديدة لها) ..

وقد نظرت الى الموضوع من الناحية النفسية ، وخلصت الى نتيجة اعتقدت انها صحيحة .. وهي ان الفضيحة التي تكلمت عنها في المرة الثانية كانت غير الفضيحة التي تكلمت عنها في المرة الأولى .. وانها تخصها شخصياً .

ولقد تصورت الاحداث على النحو التالي :

في الساعة الرابعة تشاجرت مسز انجلثروب مع جون كافنديش وهددته بأن تخبر زوجته التي سمعت في الواقع جانباً من الحديث ..

وفي الساعة الرابعة والنصف ، ونتيجة لحوار سبق أن دار حول الوصايا وصحتها ، كتبت مسز انجلثروب وصية جديدة لصالح زوجها شهد عليها

البستانيان .

وفي الساعة الخامسة ، وجدت دوركاس سيدتها مضطربة وبيدها ورقة .. وأمرتها سيدتها حينئذ بإشعال النار في مدفأتها ..

معنى ذلك أن شيئاً لا بد قد حدث بين الرابعة والنصف والخامسة ،أزعج مسز انجلثروب وغير عواطفها وجعلها تقرر أعدام الوصية بسرعة ، كما كتبتها بسرعة .. فما هو هذا الشيء ؟.

أنها ، على قدر ما نعلم ، كانت وحدها خلال هذا النصف ساعة، فلم يدخل مخدعها أو يغادره أحد إذن ماذا غير عواطفها فجأة على هذا النحو ؟.

ليس من سبيل غير الحدس والتخمين .. ولكني أعتقد ان ما خمنته كان صحيحاً ..

نحن نعلم ان مسز انجلثروب لم يكن لديها طوابع بريد في مكتبها ، لأنها طلبت من دوركاس أن تبتاع لها طوابع .. وكان مكتب زوجها في ركن الغرفة أمامها .. والمكتب مغلق وهي بحاجة الى الطوابع فوراً .

ومن المرجح إذن ، وفقاً لتصوري ، انها حاولت فتح مكتب زوجها وجربت مفاتيحها الخاصة ، ونجحت، وفتحت الدرج وأثناء بحثها عنالطوابع، وجدت الورقة التي رأتها دوركاس في يدها .

ومن ناحية أخرى توهمت مسز كافنديش ان هذه الورقة التي تشبثت بها انجلثروب لم تكن إلا دليلا خطياً على خيانة زوجها ، فطلبتها منها ، فأكدت لها مسز انجلثروب ان الورقة ليست خاصة بموضوعها ، وكانت صادقة ، غير أن مسز كافنديش ظنت انها تتستر على جون ، ومسز كافنديش سيدة قوية العزيمة ، وتغار على زوجها بجنون رغم تظاهرها بغير ذلك ..

وتصادف ان وجدت مسز كافنديش مفتاح الحقيبة الذي كانت مسز انجلثروب قد فقدته في صباح ذلك اليوم .. وكانت تعلم ان حماتها تحتفظ بكل الأوراق الهامة في تلك الحقيبة ، فتفتق ذهنها عن خطة لا تفكر فيمثلها

إلا أمرأة أضناها الغيرة واستبد بها اليأس ، وانتهزت احدى الفرص وفتحت مزلاج الباب الموصل بين غرفتي مسز انجلثروب وسنثيا، ولعلها وضعت كذلك زيتا في مفصلات الباب لأنه لم يحدث صوتاً عندما حركته ، وقررت تنفيذ خطتها في الساعات الأولى من الصباح ، وهو الوقت الذي تعود فيه الخدم سماع حركتها في غرفتها وهي ترتدي ثياب العمل لتشرع في حلب الأبقار .

وهكذا استيقظت كالعادة وارتدت الثياب المألوفة ، وبدلاً من ان تذهب الى الحظيرة ، تسللت الى غرفة سنثيا ومنها الى غرفة مسز انجلثروب .

وهنا صاحت سنثيا :

— لو أن احداً دخل غرفتي لاستيقظت .

— هذا إذا لم تكوني تحت تأثير المخدر ..

— مخدر ؟..

ثم التفت الينا وقال :

— لعلكم تذكرون ان الآنسة سنثيا ظلت مستغرقة في النوم رغم الضجة التي حدثت في الغرفة المجاورة . وكان هناك احتمالان .. أما انها تظاهرت بالنوم .. وهو ما لم أعتقده . أو انها كانت تحت تأثير مخدر ..

وكان الاحتمال الثاني في ذهني عندما فحصت أقداح القهوة بعناية شديدة وأنا اعلم ان مسز كافنديش هي التي حملت القهوة الى سنثيا بعد العشاء .

أخذت عينة من كل قدح وأرسلتها للتحليل ، فكانت النتيجة سلبية .. ستة أشخاص كانوا قد تناولوا القهوة .

فأحصيت الأقداح فكان عددها ستة .. بما في ذلك القدح الذي وجد مهشماً في غرفة مسز انجلثروب ..

لا بد إذن كنت على خطأ ..

ولكني ما لبثت ان اكتشفت ان الدكتور باورشتاين زار القصر في تلك الليلة ، وان القهوة صنعت لسبعة أشخاص لا لستة .. إذن القدح السابع ؟..

ايقنت ان القدح المفقود هو قدح الآنسة سنثيا ، خاصة وان بقايا القهوة في الأقداح الموجـودة كانت محلاة بالسكر ، بينما الآنسة لا تتناول أبداً قهوتهـا محلاة ..

واسترعى انتباهي ما قالته الخادمة (آني) عن ملح وجدته في الصفحـة التي حملت فيها الكاكاو الى مسز انجلثروب،فأخذت عينة من الكاكاو وأرسلتها للتحليل .

فقال لورنس :

ـ ولكن الدكتور باورشتاين كان قد ارسل عينة للتحليل فعلاً ..

ـ نعم .. انه طلب تحليلها لمعرفة ما إذا كان بها سم الاستركنين .. أمـا أنا فطلبت تحليلها لمعرفة ما إذا كان بها مخدر ..

ـ مخدر ؟ .

وصمت قليلاً ثم قال :

ـ لقد وضعت مسز كافنديش المخدر بكمية مأمونة في قهوة الآنسة سنثيا، وفي كاكاو مسز انجلثروب .. وفي استطاعتنا ان نتصور هلعها حين رأت ما أصاب مسز انجلثروب .. لقـد ظنت ان كميـة المخدر كانت أكثر مما ينبغي فقتلتها .. وانها سوف تكون المسؤولة عن موتها

وتحت تأثير الفزع ، أسرعت الى قدح سنثيا فأخفته في احدى (الفازات) حيث وجدته دوركاس فيما بعد وقدمته اليّ .. ولكنهـا لم تجسر على الاقتراب من بقايا الكاكا لكثرة العيون حولها في غرفة مسز انجلثروب .

وفي استطاعتنا الآن ان نعرف لماذا تأخر ظهور أعراض الاستركنين . أن تناول المخدر مع الاسركنين من شأنه دائماً أن يؤخر تأثير السم بضع ساعات

وصمت فقالت ماري وقد بدأ وجهها يسترد لونه الطبيعي :

ـ كل ما قلته صحيح يا مسيو بوارو .. فتلك كانت من أهول الساعات التي مرت بي في حياتي . ولكنك عجيب حقاً .. ولقد فهمت الآن ما ..

ـ ما كنت أعنيه حين قلت ان يوسعك الاعتراف لبابا بوارو ؟.. ولكنك لم تريدي الوثوق بي .

فقال لورنس :

فهمت الآن كل شيء .. فتناول الكاكاو بالمخدر مع القهوة المسمومه ..آخر ظهور أعراض التسمم .

ـ تماماً .. ولكن هل كانت القهوة مسمومة ؟. ذلك مما لا نستطيع ان نقطع فيه برأي . لأن مستر انجلثروب لم تشرب تلك القهوة .

فارتفعت صيحات الدهشة من كل مكان ، واستطرد بوارو قائلاً :

ـ لعلكم تذكرون انني حدثتكم عن بقعة كبيرة على السجادة في غرفة مسز انجلثروب ؟. لقد تميزت هذه البقعة ببعض الخصائص .. منها انها كانت لا تزال رطبة .. وانه كانت تنبعث منها رائحة القهوة قوية نفاذة .. وان ذرات صغيرة من القدح كانت مبعثرة فيها ..

ولكن ما حدث كان واضحاً لي تمام الوضوح . ذلك اني ما كدت أضع حقيبتي الصغيرة على المائدة بجوار النافذة .. حتى انهارت المائدة لعيب في روابط قوائمها .. وسقطت الحقيبة على الأرض ، ومن المحقق ان ذلك بالضبط ماحدث مع مسز انجلثروب ، فانها ما كادت تضع قدح القهوة على المائدة حتى انهارت المائدة بما عليها .

وما حدث بعد ذلك عرفته بمجرد التخمين ، وهو ان مسز انجلثروب لا بد قد التقطت حطام القدح ووضعته على المائدة الصغيرة التي بجوار الفراش . ولما أحست بحاجتها الى شراب منشط قامت بتسخين الكاكاو وشربته .

وهنا نجد أنفسنا أمام مشكلة جديدة . فنحن نعرف ان الكاكاو كان خالياً من الاستركنين .. وان القهوة سالت على الأرض ولم تشرب ، فكيف حدث التسمم إذن ؟.

ومن المحقق ان الاستركنين تم تناوله بين السابعة والتاسعة مساء .

فأي سائل آخر كان في الغرفة ، عدا الـكاكاو والقهوة يصلح لاخفاء مذاق الاستركنين وتخفيف مرارته ؟»

قال ذلك ونظر الينا ، وانتظر قليلا ثم أجاب بنفسه على السؤال :

قال :

ـ كان هناك الدواء الذي اعتادت أن تتناوله .

فصحت قائلا :

ـ هل تعني ان القاتل وضع السم في زجاجة الدواء المقوي ؟.

ـ القاتـل لم يكن بحاجة الى وضـع السم في الدواء . لأن الاستركنين موجود في تركيب الدواء نفسه .

ولكي أوضح لـكم ذلك، سأتلو عليكم فقرة من كتاب في الصيدلية وجدته في صيدلية مستشفى الصليب الاحمر بتادملستر .

أوردت الفقرة التركيب الدوائي التالي :

سلفات الاستركنين	١ جرام
بوتاس البروميد	٣ جرامات
مـاء	٣ جرامات

ثم قالت ان هذا التركيب أصبح معروفاً لدى الصيدلية في جميـع انحـاء العالم بعد ان تسبب في وفاة احدى السيدات الانجليزيات .

ذلك ان البروميد حول جانباً كبيراً من الاستركنين الى بللورات شفافـة صغيرة رسبت في قاع الزجاجة ، فلما تناولت الجرعة الاخيرة من الدواء ... كانت هذه الجرعة عبارة عن الاستركنين مركزاً مما أدى الى وفاتها .

ذلك ما جاء في الكتاب الذي أشرت اليه ...

ولنتحدث الآن عن دواء مسز انجلثروب

لقد وصف لها الدكتور ويلكنز هذا الدواء .. وكان خالياً طبعاً من مادة البروميد ، ولكنكم تذكرون اني حدثتكم عن علبة فارغة كانت بها أقراص

البروميد ، فاذا وضع قرص أو قرصـــان من البروميد في زجـاجة الدواء ترسب الاستركنين كله في القاع فتتناوله المريضة في آخر جرعة .

وقد كان الشخص الذي تعود تقديم الدواء لمسز انجلثروب حريصاً على عدم رج الزجاجة لكي يظل الاستركنين راسباً في القاع .

وتدل شواهد كثيرة على ان يوم الاثنين كان الموعد المحدد أصلاً للمأسـاة .. ففي ذلك اليوم قطعت أسلاك جرس مسز انجلثروب . وتقرر ان تقضي مس سنثيا ليلتها عند احدى صديقاتها وبذلك تظل مسز انجلثروب في الجنـــاح الأيمن وحدها .. بعيدة عن النجدة ، لكي تموت قبل ان تتلقى أية معونة طبية .

ولكن مسز انجلثروب في تعجلها لحضور الحفلة في القرية في الوقت المناسب نسيت ان تتناول دواءها . وفي التالي تناولت الغذاء عند بعض أصدقائهـا .. وبذلك تأخر تناول الجرعة الأخيرة القاتلة أربعـاً وعشرين ســاعة عن الموعد الذي توقعه القاتل .. وبسبب هذا التأخير ، وقع لدليل الأخير .. أو الحلقة في السلسلة في أيدينا .

وبينما حبس كل انسان في المكان أنفـــاسه ، أخرج بوارو من جيبه ثلاث شرائح من الورق وهو يلوح بها :

– هو ذا الدليل الأخير يا أصدقائي انه رســالة بخط القاتل . ولو كانت عبارات الرسالة أكثر وضوحاً لأمكن لمسز انجلثروب أن تأخذ حذرهـا في الوقت المناسب وتنجو ويبدو أنها أحست بالخطر ولكنها لم تعرف نوعه .

ووسط السكون التام ، وضع بوارو الشرائح الثلاث جنباً إلى جنب ، وقرأ فيها بصوت واضح :

« عزيزتي ايفلين ..

« لا شك انك قلقة اذ لم يبلغك شيء ، ولكن كل شيء على ما يرام ، سوف نقضي أياماً سعيدة بمجرد موت المرأة العجوز ولن يكون في استطاعة أحد أن يثبت الجريمة ضدي .

« انما يجب أن يظل دائمًا على حذر . فان اي خطأ ... »

فانتهت الرسالة عند هذا الحد أيها الأصدقاء . ومما لاشك فيه أن الكاتب فوجيء بقدوم شخص لم يكن يتوقعه .. أما شخصية القاتل فواضحة .. لأننا جميعاً نعرف خطه .

وفي هذه اللحظة ، مزق السكون صوت يصيح :

- أيها الشيطان .. كيف عثرت عليها ؟.

وسقط أحد المقاعد ، ووثب بوارو من مكانه بخفة فسقط مهاجمه على الأرض .

وقال بوارو في هدوء :

- سيداتي وسادتي اسمحوا لي أن أقدم لكم القاتل .. مستر الفريد انجلثروب .

الفصل الثاني عشر

– أيها الوغد بوارو !. كم أود أن أخنقك !. لماذا خدعتني وحجبت الحقائق عني على هذا النحو ؟.

كنا جلوساً في قاعة المكتبة بعد أن مررنا بأيام عصيبة .

وفي الغرفة التي تحتنا، كان جون وماري معاً وقد التأم شملهما مرة أخرى.. بينما كان الفريد انجلثروب وايفيلين هوارد في السجن في انتظار المحاكمة .

ولم يجبني بوارو على الفور ، بل صمت طويلاً قبل أن يقول :

– انني لم أخدعك يا صديقي .. وانما تركتك تخدع نفسك .

– ولكن لماذا ؟.

– لأنك صريح وصادق ، ويستحيل عليك اخفـــاء مشاعرك .. ولو قد صارحتك بآرائي ، لقرأ انجلثروب في وجهك كل شيء . ولذهبت آمالنا في الإيقاع به ادراج الرياح

– على كل حال كان يمكنك أن تدلي ببعض التلميحات .

– ذلك ما فعلته مراراً يا صديقي .. ولكنك لم تعرني إلتفاتاً .. ألم أقل لك انني واثق من براءة جون كافنديش ؟. ألم أقل مراراً انني لا أريد أن يقبض على انجلثروب (الآن) ؟.

هل تعني أنك كنت ترتاب فيه منذ ذلك الوقت ؟.

– نعم .. لسبب بسيط هو انه اكثر من يستفيد من موت زوجته. ولكني

عندما اكتشفت أن مسز انجلثروب هي التي أحرقت الوصية . اهتزت ثقتي في أن انجلثروب هو القاتل .. والواقع .. أن الأدلة ضده كانت من الكثرة والوضوح بحيث أيقنت انه ليس القاتل .

ــ ومتى غيرت رأيك ؟.

ــ عندما وجدت انني كلما عملت على تبرئته .. يبذل هو مزيداً من الجهد لكي يقبض عليه . وتحولت شكوكي إلى يقين عندما اكتشفت أن العلاقة الغرامية كانت بين مسز ريكس وجون كافنديش .. لا بينها وبين انجلثروب .

ــ ولكن لماذا ؟.

ــ لأنه لو كانت العلاقة مع انجلثروب .. فان صمته يكون مفهوماً .. ولكني اكتشفت أن القرية كلها تتحدث عن علاقة جون ومسز ريكس ، وإذن لا بد أن يكون لصمت انجلثروب معنى آخر

وعندما فكرت في الأمر ملياً ، أدركت انه أراد أن ينظر المحقق إلى هذه العلاقة المزعومة كسبب لإقدامه على التخلص من زوجته فيقبض عليه بتهمة القتل ..

ــ ولكن لماذا أراد أن يقبض عليه ؟.

ــ لأن قوانين بلادكم تمنع محاكمة الانسان مرتين لنفس التهمة . كانت فكرته رائعة وتدل على انه رجل منظم العقل .. لقد افتعل ضد نفسه طائفة من الأدلة الزائفة لكي يقبض عليه ويحاكم وحينئذ يظهر زيف الأدلة ويحكم ببراءته فيظل في أمان بقية حياته .

ــ ولكن كيف يستطيع اثبات براءته وهو الذي ذهب بنفسه إلى صيدلية القرية ؟.

ــ ألم تفهم بعد أيها الصديق أن ايفيلين هوارد هي التي ذهبت إلى الصيدلية ؟

ــ ايفيلين هوارد ؟.

وهل يمكن أن يكون هناك سواها ؟ ان لها صوتاً خشناً كأصوات

الرجال ، ثم انها ابنة عم انجلثروب وبينهما تشابه واضح وخاصة في القامـة والمشية ..

– وحكاية البروميد .. كيف تمت ؟.

– انني اميل إلى الاعتقاد بأن ايفيلين هوارد كانت هي العقل المدبر ، ولقد علمت أن أباها كان طبيباً ، ولعلها قرأت في أحد كتبه أو أحد كتب الآنسة سلثيا عن موضوع البروميد وأثره في ترسيب الاستركنين. ولم يكن أيسر عليها من وضع البروميد في زجاجة الدواء لزوجته دون أن يرج الزجاجـة .. أما ايفيلين نفسها فانها اقتعلت مشاجرة مع مسز انجلثروب لكي تغـادر القصر وتصبح بنأى عن الشبهات .. وكان ذلك هو السبب المباشر في ضياعهما ، إذ لولا رسالة انجلثروب اليها لما أمكن اقامة الدليل ضدهما .

وأشعل بوارو لفافة تبغ واستطرد قائلاً :

– لقد حاولا إلصاق التهمة بجون كافنديش بشراء الاستركنين من صيدليـة القرية والتوقيع على سجل الصيدليـة بخط شبيه بخطه ، وكانت ايفيلين قد تدربت على تقليده .

وإمعاناً في تورطه ، كتبت إليه كذلك تلك الرسالة التي حملتـه إلى التي حملته إلى الذهاب إلى مكان مقفر لا يراه فيه أحد .. في نفس الوقت الذي كانت هي فيه بالصيدلية .

ولما تأخرت المأساة يوماً للاسباب التي سبق أن ذكرتها ، انتهز انجلثروب فرصة خروج زوجته وشرع في كتابه رسالة يطمئن فيها شريكته التي خشي أن يستولي عليها الفزع لعدم سماعها نبأ وفاة الزوجة .. ولكن الزوجة عادت فجأة فأخفى انجلثروب الرسالة في درج مكتبه وأغلق الدرج وخرج وهو لا يتوقع ان تفتح زوجته الدرج وتجد الرسالة .

وقرأت مسز انجلثروب الرسالة التي فضحت حقيقة مشاعر زوجها وابنة عمه .. ولكنها لم تفهم العبارة الخاصة بالبروميد .. فلم تأخذ حذرها ، وكل

ما فعلته انها كتبت إلى محاميها تطلب اليه مقابلتها في اليوم التـالي وقررت اعدام الوصية ، واحتفظت بالخطاب الذي يدين زوجها ..

— إذن فالزوج هو الذي فتح الحقيبة عنوة للبحث عن الرسالة ؟.

— نعم .. لأنه كان يدرك مدى خطورتها عليه ، فهي الدليل الوحيد على صلته بالجريمة .

— هناك أمر لم أستطيـع فهمه .. وهو لماذا لم يبادر الجلاروب الى التخلص من الرسالة حالما استولى عليها ؟.

— لأنه لم يجسر على المجازفة بما هو أخطر .. وأعني الاحتفاظ بها في جيبه.

— لم أفهم بعد .

— انني اكتشفت انه كان لديه خمس دقائق فقط قبل حضورنا وقبـل ذلك كانت (آني) تعمل في تنظيف درج السلم وكان بوسعهـا أن ترى كل من يحاول الانتقال الى الجناح الايمن .

ولك أن تتصور موقفه .. انه فتح باب الغرفة بأحـد المفاتيح الأخرى وأسرع الى حقيبة الاوراق ووجدها مقفلة ولا أثر للمفاتيـح. وكان ذلك صدمة له . إذ معناه ان وجوده في الغرفة سيكتشف ... ولكنه قرر المجازفة بكل شيء في سبيل الحصول على الدليل الوحيد الذي يمكن ان يسوقه الى المشنقـة . وبسرعة جنونية ، فتـــح القفل بمطواة ، وبحث بين الاوراق ، ووجد الرسالة .

وهنا واجهته مشكلة جديدة ، فهو لا يستطيـع الاحتفاظ بالرسالة خوفـاً من أن تضبط معه إذا شوهد وهو يغادر الغرفة..كما انه لا يجد وسيلة للتخلص منها بتدميرها ، فما العمل ؟

بأسرع من لمح البصر ، مزق الرسالة الى ثلاث شرائح .. ولف كل شريحـة حتى أصبحت كقلم الرصاص ، غرس الشراريح جميعاً في آنية الزهورالتي كانت فوق المدفأة .. وهو واثق من أن أحداً لن يفكر في البحث في الآنية .. وانه

سوف يتمكن من استرداد الشرائح في الوقت المناسب .

— آه .. إذن فقد كانت الرسالة تحت انوفنـــا طول الوقت ولم نفطن الى وجودها ؟..

— نعم .. أيها الصديق .. ولكني وجدتها بفضلك .

— بفضلي أنا ؟ .

— نعم .. ألم تقل لي انك رأيت يدي ترتجف بشدة وأنا أعيد تنظيم بعض التحف فوق المدفأة ؟..

— ولكن ما الصلة بين ...

فقاطعني ..

— سأقول لك ما هي الصلة .. لقد تذكرت اني نظمت هـذه التحف في الصباح عندما كنت معك في الغرفة .. ولو لم يختل نظامها لما اضطررت بعـد ذلك الى اعادة تنظيمها .. إذن لا بد أن يداً قد عبثت بها .

— يا إلهي .. إذن فهذا هو سبب اندفـــاعك الى الخارج كالمجنون لكي تصل الى ستايلز وتبحث عن الرسالة ؟..

— الواقع انني كنت في سباق مع الزمن .

— ومع ذلك فقد كان لدى انجلثروب ومس هـــوارد متسع من الوقت لاسترداد الرسالة من مخبئها ..

— كان انجلثروب مطمئناً الى أن احداً لن يجدها ثم انه لم يشأ الاقدام على أية مجازفة .. أما مس هوارد فأنها لم تكن تعلم بوجود رسالة ، وكان الاتفـــاق بينها وبين انجلثروب إلا يتحادثا إذ المفهوم انهما عدوان لدودان .. ولذلك لم يخبرها بأمر الرسالة .

— ومتى بدأت ريبتك في مس هوارد ..

— عندما علمت انها وانجلثروب أبناء عمومة .. ثم ان بغضهـا له لم يكن طبيعياً .. فأدركت ان وراء هذا البغض عاطفة أخرى .. ومن المحقق انه

كانت بينهما صلة قديمة وانهما دبرا الأمر بحيث يقترن انجلثروب بالأرملة الثرية ومن ثم يتخلصان منها .

— ولكني لا أعلم لماذا حاولا الصاق التهمة بجون ولم يحاولا الصاقها بلورنس فقد كان موقف لورنس مؤلماً .. وكان مضطرباً طول الوقت .

— هل تعلم لماذا ؟.

— كلا .

— الا تعلم انه كان يعتقد أن سنثيا هي مرتكبة الجريمة ..

— مستحيل ؟.

— ابداً .. أنا نفسي ظننت نفس الشيء .. وقد كنت أفكر في ذلك حينما سألت مستر ويلز عن الوصية .. ثم لا تنس انها التي اعدت علبة البروميد ... وانها تعرف كل شيء عن السموم .. والآن .. هل تريد ان تعرف لماذا أصيب لورنس بالفزع والذهول عندما دخل غرفة أنجلثروب بعد تحطيم بابها ؟.

انه ذعر حين رأى ان الباب الموصل الى غرفة سنثيا ليس موصداً بالمزلاج .

— ولكنه قال انه رآه موصداً ؟.

— تماماً .. وذلك مـــا أكد انه لم يكن موصداً .. لقد اراد التستر على سنثيا .

— ولماذا يتستر عليها ؟.

— لأنه يحبها .

فضحكت وقلت :

— على العكس .. انه يمقتها .

— من قال لك ذلك .

— سنثيا نفسها .

— وهل كانت حزينة .

— كلا .. قالت ان ذلك لا يهمها .

— اذن فانه يهمها كثيراً .. ذلك شأن النساء دائماً .

- ان ما تقوله عن لورنس يدهشني .

— ولماذا ؟ ألم ترى كيف كان يعبس ويتجهم كلما تحدثت سنثيا او ضحكت مع أخيه ؟ لقد كان يتوهم ان سنثيا تحب جون ، عندما دخل غرفة مسز انجلثروب وأدرك انها مصابة بتسمم ، ظن ان لسنثيا ضلعاً في تسميمها ، خاصة وانها كانت معها أثناء الليل . فبادر الى تهشيم قدح القهوة بأن داسه تحت قدميه .. حتى لا يترك فيه بقية من القهوة يمكن تحليلها ، ثم دافع بشدة عن نظرية الوفاة الطبيعية ..

-- سؤال أخير ماذا كانت مسز انجلثروب تعني حين رددت اسم زوجها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة ؟

— كانت تريد اتهامه بطبيعة الحال .

— أظن أنك قد أوضحت كل شيء فشكراً لك أيها العزيز بوارو .. وحمداً لله على ان كل شيء قد انتهى بسلام . حتى جون وزوجته قد تصالحا ..

— والفضل في ذلك لي .

— ماذا تعني ؟.

— الا تدرك أيها الصديق ان محاكمة جون كانت الوسيلة الوحيدة للجمع بينهما وإعادة الصفاء الى حياتهما ؟.

كنت واثقاً من انه يحبها .. وانها تحبه . ولكن سوء التفاهم فرق بينهما .. ذلك انها تزوجته دون حب .. وكان هو يعلم ذلك .. ولفرط حساسيته لم يشأ ان يفرض نفسه عليها ..وأخذ يتباعد عنها وأيقظ تباعده حبها .. ثم جاءت مغامرته مع مسز ريكس .. وبدأت الكبرياء تلعب دورها .. وشرعت ماري في توثيق صلتها بالدكتور باورشتاين .. هل تذكر يوم أن قلت لك انني أوشك أن أتخذ قراراً ؟. كنت يومئذ حائراً بين أن أبريء جون أو أن أدعه يحاكم .. كان بوسعي أن أبرئه وكان ذلك سيؤدي الى ضياع آمالنا في القبض على المجرمين الحقيقيين .

– أتعني أنه كان بوسعك انقاذ جون من الهاوية؟.

– نعم يا صديقي .. ولكنني قررت أن سعادة المرأة أهم .. فلم يكن هناك ما يمكن أن يجمع بينهما ويعيد الصفاء إلى حياتهما مثل الشدائد التي تعرضا لها .. ان اسعاد رجل وامرأة هو أهم شيء في هذه الدنيا ..

وذكرني هذا الكلام بما حدث بعد أيام حين تهالكت ماري على الأريكة وهي شاحبة الوجه لاهثة الأنفاس ثم فتح الباب ودخل بوارو وهو يقول :

– هأنذا قد جئت به يا سيدتي ..

وأفسح الطريق .. ودخل جون وفي غمضة عين كانت ماري في أحضانه .

قلت له :

لاشك انك على حق يا بوارو .. وان سعادة رجل وامرأة هي أهم شيء في هذا العالم .

وفي هذه اللحظة فتح الباب فجأة .. ودخلت سنثيا وقالت وهي تلهث :

– لقد جئت لأقول لكما ...

ولم تتم عبارتها وهجمت علي فقبلتني ثم قبلت بوارو وخرجت مسرعة ، فنظرت الى بوارو في دهشة وسألته :

– ما معنى هذا ؟.

– معناه انها اكتشفت أخيراً أن لورنس لا يكرهها كما كانت تتوهم ..

– تمت –

توزيـــع :
مكتبة الكـــويت المتحـــدة